جامعة الدول العربية



المجلد الأول — الجزء الأول

رمضان ١٣٧٤
مايو ١٩٥٥

مجلة

معهد المخطوطات العربية

مجلة ثقافية تصدر عن معهد المخطوطات فى جامعة الدول العربية وتعنى بشؤون المخطوطات والوثائق العربية وتاريخها .

تصدر فى أول مايو وأول نوفمبر من كل سنة .

نصٌ أندلسيٌ جديد

قطعةٌ من كتاب فَرحة الأنفُس لابن غالب
عن كُوَر الأندَلس ومدُنِها بعد الأربعمائة

للدكتور لطفي عبد البديع

عثرت فى معهد المخطوطات بالجامعة العربيـة على فلم لمخطوطة أندلسية موسومة بـ « تعليق منتقي من نزهة الأنفس فى تاريخ الأندلس » لمحمد بن أيوب بن غالب محفوظة فى مكتبة مراد ملا رقم ١٤١٠ ضمن مجموعة من ١٠٥ ب / ١١٨ ب كتبت على ما يظهر فى القرن التاسع بخط نسخ .

كان شأنها واياى حين وقع بصرى عليها شأن انسان يلقاه المرء فيظن أنه يعرفه وهو لا يعرفه ، فالعنوان واسم المؤلف كلاهما مما تردد فى سمعى من قبل غير أن معرفتى بهما كانت معرفة مجملة تفتقر الى التفصيل والتثبت .

ورحت أتقصى أمر المخطوطة وأتبين حقيقتها وقد حركنى الى ذلك ما اكتنفها من غموض وابهام واذا بى أجدها قد تقطعت بها الأسباب وحجبها الزمن عن الباحثين فلا علم لهم بها ولم يذكرها أحد ولاحقها اللبس فى كل موضع فشمل العنوان الذى ترجمت به والكتاب الذى هى نسخة منه والمؤلف الذى صدرت عنه .

فالعنوان الذى تحمله المخطوطة محرف مصحف عن « فرحة الأنفس » أخطأ الناسخ فى قراءته فظن استدارة الفاء نونا وخال الحاء هاء ثم ضم الكلمة الى جارتها « الأنفس » فاستقام له المعنى واطرد سياق العبارة المجازية فقرأ « نزهة الأنفس » . وتدل المخطوطة على قلة عناية الناسخ بالشكل والاعجام مما أفضى به الى كثير من التصحيف

على أن عنوان الكتاب ذاته مشكل ومن المفارقات أنه بقدر تعدد صوره كانت قلة المراجع التى أشارت الى الكتاب فلم يذكره فيما نعلم الا ابن سعيد فى المغرب والمقرى فى النفح ونبه عليه اسماعيل باشا فى ذيل كشف الظنون وأورده بونس بويجس فى ثبته عن المؤرخين والجغرافيين فى الأندلس أما بروكلمان فلم يشر اليه اطلاقا .

نقل عنه ابن سعيد فى سبعة مواضع ذكر فى اثنين منها اسم الكتاب فسماه « فرحة الأنفس » واجتزأ فى سائرها بقوله قال ابن غالب [1] ، وورد فى النفح على صور شتى تؤول الى ثلاث فرحة الأنفس (بالحاء المهملة أو الجيم المعجمة) للآثار الأولية التى فى الأندلس ، وفرحة الأنفس فى فضلاء العصر (أو العمر) من الأندلس ، وفرحة الأنفس فى أخبار أهل الأندلس مع الاختلاف فى كلمتى فرحة وفرْجة وكلمتى العمر والعصر ، وظاهر أنه اختلاف يرجع الى قراءة الأصول التى اعتمد عليها ناشرو النفح والى اعجام الكلمة فلفظ فُرجة لا نراها الا فى طبعة ليدن وفى المجلد الثانى خاصة وأما طبعة القاهرة فكل ما فيها ورد بلفظ فرحة [2] .

وصاحب ذيل كشف الظنون يسمى الكتاب فرحة الأنفس فى فضلاء العمى من أهل الأندلس [3] ، وأما ما أورده بونس بويجس فلا يعوّل عليه لأنه نقله عن هذه الأصول .

وكتاب ابن غالب ليس بدعا فى الكتب الأندلسية وغيرها من الكتب الموسومة بعنوانات مجازية فالذى وقع للكتاب الذى نحن بصدده وقع مثله لكتاب الحِجَارى المعروف بالمسهب فقد استشكل المقّرى عنوانه وتردد بين مسهِب بكسر الهاء ومسهَب بفتحها حتى وقف على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد بن عبّاد الى الأعلم الشنّتَمَرى [4] .

(1) ابن سعيد : المغرب ٢/٥٠٣ ، ٥٠٤ نشر الدكتور شوقى ضيف .

(2) أنظر النفح ٢/٩٢٦ من النسخة الأوربية ؛ ١/٩٤ و ١٢٣ و ٢٣٧ ، ٢/٣٤٦ ط القاهرة ١٣٠٥ .

(3) ذيل كشف الظنون المجلد الثانى ص ١٨٦ .

(4) النفح ٢/٣٨٢ ط القاهرة .

وليس بين يدينا سند من رواية تقطع الشك باليقين الا رواية ابن سعيد فى كتابه والنسخة التى اعتمد عليها الدكتور شوقى ضيف فى نشر الكتاب من خط المؤلف نفسه كتبها لابن العديم [1] فهى من حيث الثقة بها فى درجة لا تعلوها درجة وابن سعيد سمّى الكتاب فرحة الأنفس كما ذكرنا ، أما ما عدا ذلك فمدار الأمر فيه على الاجتهاد فى قراءة النص وتوجيهه ، وابن غالب أراد بما كتب أن يعدّد مآثر الأندلسيين ويفاخر بهم ويبين أن « فضلهم ظاهر وحسن بلادهم باهر » حتى كان مما ساقه لتأييد دعواه « أن بطليموس جعل لهم من أجل ولاية الزُهرة لبلادهم حسن الهمة فى الملبس والمطعم ، والنظافة والطهارة ، والحب للهو والغناء وتوليد اللحون ، ومن أجل ولاية عطارد حسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة والفلسفة والانصاف [2] » .

ومقتضى المفاخرة فرح المرء وسروره وبطره اعتزازا بما يحكى ومنه الفرحة بضم الفاء أو فتحها أما الفــرجة فهى التفصى من الهم وليس من همّ يتفصى منه المؤلف حتى يطلق على كتابه هذا الاسم وانما الفَرحة أحق بالمعنى الذى يريده وأجدر به ولذلك نحن نميل اليها . أما لفظتا العمر والعمى فليستا بشيء فأولاهما لا تدل على الشمول الزمانى لسائر من عاصروا ابن غالب والثانية بعيدة لأنه لم يفرد العمى بالذكر فى كتابه حتى يجعل اللفظ فى العنوان .

وبعد أن وجدنا فى هذه الحجة — وهى لغوية — مقنعا وقفنا فى معجم البلدان لياقوت على اسم الكتاب فى سياق التعريف بمدينة أَوْرَبه قصبة كورة جيّان فقد قال بعد أن فرغ من التعريف بها : « كذا ذكر صاحب فرحةِ الأنفس فى أخبار الأندلس [3] » . بالحاء المهملة .

يتحصل مما سبق أن صــدر العنوان واحد فى الأسماء كلها وأن الخلاف ينصب على الشطر الثانى منه فهو للآثار الأولية التى بالأندلس

---

(١) أنظر مقدمة المغرب ص ٢١ .

(٢) النفح ١٢٣/١ ط القاهرة .

(٣) معجم البلدان ٣٧١/١ .

تارة ، وفى فضلاء العصر تارة أخرى،ثم فى أخبار أهل الأندلس فما تأويل هذا الاختلاف ؟

ظاهر الأمر يوهم أن لابن غالب كتبا بعدد هذه العنوانات وليس بذلك فهو كتاب واحد قسّمه صاحبه جزءين: أولهما فى جغرافية الأندلس وخططها عنوانه فرحة الأنفس للآثار الأولية التى فى الأندلس، والجزء الثانى فى أخبار الأندلسيين واسمه فرحة الأنفس فى فضلاء العصر من أهل الأندلس وكل جزء منهما يطلق عليه كتاب من قبيل تسمية القسم من أقسام المؤلف الواحد فصلا أو بابا ، أما الكتاب كلّه فعنوانه فرحة الأنفس فى أخبار الأندلس كما ذكر ياقوت أو تاريخ الأندلس كما ورد فى المخطوطة ولا اشكال فى ذلك فربما كان للكتاب اسمان ، وكتاب ابن حيّان الموسوم بالمتين يطلق عليه أيضا التاريخ الكبير . وصنيع ابن غالب فى تسمية كل قسم من قسمى الفرحة بكتاب شبيه بصنيع ابن سعيد فى المغرب .

مؤلف الكتاب

هذه هى قضية العنوان، أما المؤلف فلم يكن أسعد حظا من كتابه فقد التمسنا ترجمته فى مظانها فلم نجد له ذكرا[1]، ومن نبّه عليه من المحدثين خلّط فى اسمه وفى عصره ، واثنان هما اللّذان ذكراه: اسماعيل باشا وبونس بويجس فأولهما عرّف به على الوجه التالى : « أبو عبد الله محمد بن غالب البلنسى الكاتب الوزير المتوفى سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبعمائة [2] » وأبو عبد الله هذا غير صاحب الفرحة فليس هذا اسمه وليس هو من بلنسيه ولا يمكن أن تمتد حياته الى سنة ٧٦٧ وقد نقل عنه ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ وابن سعيد المتوفى سنة ٦٨٥ .

وأما بونس بويجس [3] فقد فصّل القول فيه اذ نبّه على ما ساقه

---

(١) من الكتب التى رجعنا اليها ارشاد الأديب لياقوت والوفيات لابن خلكان والفوات لابن شاكر وشذرات الذهب للعماد الحنبلى والدرر الكامنة لابن حجر والتكملة لابن الأبار وتاريخ قضاة الأندلس للنباهى ومختصر الاحاطة لابن الخطيب والحلل الموشية المنسوبة له وجذوة الاقتباس ودرة الحجال لابن القاضى .

(٢) ذيل كشف الظنون المجلد الثانى ص ١٨٦ .

(٣) Pons Poigues : *Ensayo* pp. 123-124.

المقّرى واسماعيل باشاثم تساءل عن ابن غالب هذا وكأن خاطره قد حدّثه بأنه ربما كان تمّام بن غالب من أهل البيرة المتوفى سنة ٣٤٧ وقد ترجم له ابن الفرَضى (١) ولكنه عاد فاستشكل أمره وذهب به الظن الى أن المعنىّ هو تمّام بن غالب اللغوى المعروف بابن التيّانى المتوفى بالمريّه سنة ٤٣٦ وقد ترجم له ابن بَشكوال فى الصلة والضبىّ فى البغية وابن خلكان فى الوفيات (٢) وقصّته مع الأمير مجاهد العامرى فى شأن كتابه المشهور فى اللغة معروفة ذكرها من ترجموا له ، قالوا : ان مجاهدا وجّه اليه أيام غلَبته على مرْسيَة وأبو غالب ساكن بها ألف دينار على أن يزيد فى ترجمة هذا الكتاب مما ألّفه أبو غالب لأبى الجيش مجاهد فردّ الدنانير وقال والله لو بذلت لى الدنيا على ذلك لم أفعله ولا استجزت الكذب فانّى لم أؤلفه لك خاصة ولكن للناّس عامّة . ولم يشر أحد الى أنه صاحب الفرحة وانما بنى بونس بويجس رأيه على مجرد الظن . ونحن نبين ما بدا لنا فى شأنه مما وقفنا عليه ومما هدتنا اليه المخطوطة .

واسمه هو كما ورد فى المخطوطة « محمّد بن أيّوب بن غالب» وقد أشار اليه السخاوى فى ثنايا حديثه عن كتب التاريخ التى اقتصرت على أهل بلد مخصوص ونسبه الى غرَناطة (٣) وكذلك ورد فى نسخة النفح بكوبنهاجن (٤) حيث جاء اسمه كما نصت المخطوطة ، وبلده كما نبّه السخاوى فهو محمد بن أيوب بن غالب الغرناطى .

أما العصر الذى عاش فيه فليس بين يدينا ما يدلنا عليه سوى المخطوطة فقد سرد فى أثناء كلامه على مدن الأندلس بعض الحوادث التاريخية رواها رواية المعاصر لها لا رواية الناقل فهو حيث ينقل ينبّه غالبا

---

(١) انظر ترجمته فى الصلة ت ٣٠٢ .

(٢) انظر الصلة ت ٢٨٠ والبغية ت ٦٠٠ والوفيات ٩٧/١ .

(٣) السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٢٢ ط الترقى وقد ورد فى النسخة أبو غالب بدلا من ابن غالب وهو تحريف عن ابن غالب فالنسخة رديئة مليئة بالأغلاط ، وورد مصححا فى الترجمة التى وضعها فرانز روزنتال لكتاب الاعلان ط ليدن ١٩٥٢ ؛ أنظر
Franz Rosenthal : *A. History of Muslim historiography*, p. 384 No. 9.

(٤) انظر النفح ٤١٧/٢ حاشية A الطبعة الأوربية .

على المصدر الذى أخذ عنه وكذلك فعل فيما ساقه عن مسافة ما فى أيدى المسلمين من الأندلس سنة ستين وأربعمائة حيث ذكر البكرى (و ٤ من المخطوطة) ، وجميع هذه الحوادث يقع فى القرن السادس الهجرى فى فترة بدايتها سقوط سَرَقُسْطَه فى أيدى المسيحيين على رأس المائة السادسة (و ٤ من المخطوطة) ونهايتها سنة ٥٦٥ وفيها فارق الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجى القرطبى فقد ذكر أن له كتابا كبيرا بدأ فيه من بدء الخليقة الى أن انتهى فى أخبار الأندلس الى دولة عبد المؤمن قال : وفارقته سنة ٥٦٥ [1] ، وبين البداية والنهاية حوادث يراها القارىء متفرقة فى ثانيا النص، ولكن يعنينا منهاما ذكره من دخول المسيحيين جامع قرطبة سنة أربعين وخمسمائة حين هاجت الفتنة الثانية قال : « وأخبرنى من أثق به من أهل قُرْطُبَة قال دخلت الجامع فى اليوم الثانى من خروج النّصارى عن قُرْطُبَة مع جُملة الناس فاجتمعنا على ما بقى من المنبر ليُنزلوه من ذلك الموضع فلما أنزلناه وجدنا تحته مقدار ما تحمله دابّتان من رمل أبيض مثل سُحالة الفضّة فأردنا ازالته وتنظيف الموضع فأخبرنا شيخ من أهل العلم بخَبره أنه من رمل جلّيقية دمّرها الله جلبه ابن أبى عامر فتركناه » (ظ ٩) فالنّص صريح فى أن الحادثة رواها له ثقة من معاصريه مما يشهد بصحّة ما ذهبنا اليه، ونرجح أنه كان معاصراً لأبى سعيد عثمان بن عبد المؤمن صاحب غَرناطة ومتعلقا به فقد ذكره فى أكثر من موضع وساق الحديث عنه مساق التمجيد وكان أبو سعيد هذا « من نُبهاء أولاد عبد المؤمن ونُجبائهم وذوى الصرامة منهم، وكان محبًّا فى الآداب مؤثراً لأهلها، يهتزّ للشّعر ويُثيب عليه، اجتمع له من وجوه الشُعراء وأعيان الكتاب عصابة ما علمتُها اجتمعت لملك منهم بعده [2] » وولاه أبوه عبد المؤمن غَرْناطة وأعمالها بعد أن جاز البحر الى الأندلس سنة خمس وخمسين وخمسمائة ومات بالطّاعون سنة احدى

(١) المقرى : النفح ١٣٦/٢ ط القاهرة ١٣٠٢ .
(٢) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ص ١٥٩ نشر دوزى .

وسبعين وخمسمائة [1] . ومجمل القول فى شأن صاحب الفَرحة أنه محمد بن أيوب بن غالب الغرناطى من أهل القرن السادس .

كتاب فرحة الأنفس

بينّا فى صدر هذا البحث أن الكتاب يضم قسمين أولهما فى خطط الأندلس والثانى فى أخبار الأندلسيين وذكر مآثرهم ، والظاهر أنه نحا فيه نحو من قبله من مؤرخى الأندلس وعلى رأسهم الرّازى فى تاريخه فقد جعل جغرافية الأندلس كالمقدمة للتاريخ وتلك أيضا سبيل الحِجارى فى المسهِب فى فضائل المغرب « وقد صنّفه بعد الذّخيرة والقلائد من أول ما عَمرَت الأندلس الى عصره وخرج فيه عن مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وخواصّها مما يختص بعلم الجغرافيا وخلَطه بالتّاريخ [2] » ففرحة الأنفس جار فى هذا المضمار ، والاشارات التى وردت فى النفح نقلا عنه تصور الى حد ما نزوعه الى الشمول والاستيعاب ، ففيه ذكر لأنساب العرب من أهل الأندلس ومنازلهم فيها [3] وأخبار العلماء والمؤرخين [4] وأخبار الخلفاء والأمراء وربما أورد قصة تتضمن لفظا رومانسيًّا كالذى نطق به عبد الرّحمن الناصر فى هجاء لحية أبى القاسم لُبّ [5] ، ولو ذهبنا نستقصى كل ما نقل صاحب النفح عنه لخرجت لنا مادة مستفيضة تتناول جوانب شتى من الحياة الأندلسية .

أما القطعة التى وقفنا عليها فهى كما يدل عليها العنوان منتقى من القسم الجغرافى الموسوم بكتاب فرحة الأنفس للآثار الأولية التى فى الأندلس ، فهو يذكر فى الكتاب ما فى المدن الأولية من آثار ، ولا يستبعد أن يكون المؤلف نفسه هو الذى انتقاه ففى الجزء الأخير

---

(١) الحلل الموشية ص ١٢٠ ، ١٢٨ .

(٢) من رسالة لابن سعيد فى النفح ١٣٦/٢ ط القاهرة .

(٣) النفح ١٣٦/١ .

(٤) نفس المصدر ١٣٦/٢ .

(٥) أكمل بها الناصر البيت : لولا حيائى من امام الهدى * نخست بالمنخس شو ... أنظر القصة بتمامها فى النفح ٣٤٦/٢ ط القاهرة نقلا عن الفرحة .

من المخطوطة عند الكلام على حدود المغرب وردت عبارة « وقد تقدم هذا أول التعليق » (ظ ١٣) وهي من قبيل ما يقوله المؤلف عادة .

قيمة النص

والقطعة على ايجازها تصور خطط الأندلس بتمامها بعد الأربعمائة وما كان من المدن بأيدي المسلمين في عصر لمتونه والموحدين لم يسقط منها شيء يقطع تسلسل الكور وانتظامها في سلك واحد . ولئن كان قد ورد في كتب التاريخ ومعاجم البلدان ذكر لكور الأندلس ومدنها وأقاليمها وحصونها فانما جاء مفرقا لا يرتبط بعضه ببعض ، فقيمة النص في أنه يمثل وحدة عضوية لاسبانيا الاسلامية تعين على تصور التوزيع الاداري للأقاليم ونسبة كل منها الى الآخر من الوجهة الجغرافية وما يضمه كل اقليم .

هذه واحدة وأخرى وهي أجل خطرا أنه يطفيء ظمأ المتعطشين الى ما ورد في تاريخ أحمد بن محمد الرّازي (المتوفى سنة ٣٤٤) من وصف اسبانيا الاسلامية فقد ضاع النص العربي فيما ضاع من تراث ولكنه بقي في ترجمة اسبانية لها قصة وتاريخ .

فمنذ قرن كامل نشر المستعرب الاسباني بَسْكُوال دي جاينجُوس نصا اسبانيا للقسم الجغرافي من المدونة التاريخية المعروفة بـ Cronica del Moro Rasis جعله كالذيل على بحثه في حُجّية هذه المدوّنة وقد ظهر في مدريد سنة ١٨٥٢ [1] ، والنص الاسباني لهذا القسم ويطلق عليه « وصف اسبانيا » نقل عن ترجمة برتغالية لكتاب الرّازي وضعها القس خيل بيرس بتكليف من دون ديونيسيو ملك البرتغال (١٢٧٩ — ١٣٢٥) ، وظن الباحثون أن الأصل البرتغالي لقي مصير الأصل العربي فضاع مثلما ضاع ولم يبق سوى النص الاسباني الذي اتخذ أساسا

(1.) P. Gayangos : *Memoria sobre la autenticidad de la cronica denominada del Moro Rasis.* Memorias de la R. Academia de la Historia t. VIII).

لدراسات نقدية مستفيضة عن جغرافية اسبانيا كما صورها الرازى ووضع أ'لمانى بحثا عن جغرافية اسبانيا عند الكتاب العرب [١] .

وظل الأمر على هذا النحو الى أن كان خريف ١٩٥٢ حيث وقف الأستاذ ليفى بروفنسال على النص البرتغالى لجغرافية الرازى تضمنته المدونة Cronica geral de Espanaha فنشر ترجمته الى الفرنسية وعارضه بما ورد فى المراجع العربية التى استقت من الرازى [٢] .

والنص الذى ننشره اليوم يخطو بالبحث خطوة جديدة هامة فابن غالب نقل نص الرازى فى كتابه متصلا غير منقطع فهو يحقق النص البرتغالى ويثبته وهو له كالأصل العربى ،وقد بلغ من صلة القربى بينهما أنا كنا نقابله على الترجمة الفرنسية فتبدو كأنها ترجمة عنه مع الاختلاف الذى يقتضيه الزمن وتغير الظروف .

وليس من همنا بحث النص من الناحية الداخلية والتعرض لما يثيره من مشكلات تبدو عند مقارنته بالنصوص الجغرافية الأخرى لأندلسيين ومشارقة وحسبنا أن نذكر أنه يلقى ضوءا جديدا على جغرافية اسبانيا الاسلامية وتقسيمها الادارى الى كور يذكر فى كل منها ما تضمه من مدن وحصون وقرى وما تتميز به من خصائص والمسافة بينها وما اشتهرت به المدن من صناعة وزراعة ، وربما ساق فى ثنايا ذلك مايتصل بها من حوادث تاريخية ويفصل القول فى قرطبة ومسجدها الجامع ومقصورته ومحرابه ومنبره ويفضى من ذلك الى تحديد الأندلس وذكر جبالها وأنهارها على وجه الاجمال وينتهى بذكر جملة ملوك بنى أمية والحموديين .

(1.) J. Alemany Bolafer : *La Geografia de la Peninsula Ibérica en los escritores arabes.* Granada 1912 (Revista del centro de Estudios historicos de Granda y su reino).

(2.) Levi- Provençal : *Description de l'Espagne d'Ahmad Al-Razi, Essai de Reconstitution de l'original arabe et traduction francaise.* R. Al-Andalus p. 52-58 V. XVIII, 1953).

تعليق منتقى من [فرحة][1] الأنفس فى تاريخ الأندلس

للحافظ محمد بن أيوب بن غالب الأندلسى

ذكرت النصارى الأوائلُ عن الأندَلُس أنه بلد ذو ثلاثة أركان ، قد أحاط بها البحران المحيطُ ، والمتوسطُ الخارجُ إلى بلد الشام ، وذكرت عجمُ الأندلس أن الأندلس أندلسان أدنى وأقصى ، وقال الرّازى : لاختلافِ هبوب رياحها ، ومواقعِ أمطارها ، ومجارِى أنهارها ، أندلس غربى وأندلس شرقى ، وزعمت عجم رومة أن حدّ الأندلس من بلد أرْبُونَة ، ومعظمُها فى الإقليم الخامس وبعضه فى الرابع ، وأندلس من ولد يافث بن نوح هو أول من عمّرَ الأرض فسميت به ، وقالت العجم : أول من عمرها بعد الطوفان قومٌ يُعرَفون بالأندلس .

فحدُّ الغرب عند أهل الشرق من مصر إلى آخر المعمور على البحر المحيط ، وحدّ الغرب عند أهل مصر من إفريقيّة إلى البحر المحيط الذى لا عمارة وراءَه .

والأندلس شاميّة فى طيب أرضها ومياهها ، يمانيّة فى اعتدالها واستوائها ، أهوازيّة فى عظيم جبايتها ، عدَنيّة فى منافع سواحلها ، صينيّة فى جواهر معادنها ، هنديَّة فى عطرها وطيبها ، وأهلُها عربٌ فى العزّة والأنَفة وعُلوّ الهمَّة وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباية الضيم وقلة احتمال الذل ، هنديّون فى فَرْط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها ، هم أشدّ الناس بحثاً عليها (و ٢) وأصحهّم ضبطاً وتقييداً وروايةً لها وخاصّة لكتاب الله وسنة نبيهم محمّد صلى الله عليه وسلم ، بغداديون فى نَباهتهم وذكائهم وحُسْن نظرهم وجَوْدة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحِدّة أفكارهم ونُفوذ خواطرهم ورقّة أخلاقهم وظَرفهم ونظافتهم ، يونانيون فى استنباطِهم للمياه ومُعاناتهم ضرُوب الغراسات واختيارِهم لأجناس الفواكه

(١) فى الأصل نزهة .

وتدبيرِهم لتركيب الشّجر و (...) (١) لإقامةِ البساتين بصنوف الخُضرَ وأنواع الزهر ، فهم أحكمُ النّاس لأسباب الفِلاحة ، ومنهم ابن بَصّال صاحبُ كتاب الفلاحةِ الأندلسية التى شهدت التجربة بفضلها وعُوِّل على صحتها ، صينيُّون فى إتقانَ الصنائع العملية وإحكام المهن التصوُّرية فهم أصبر النّاس على مطاولة التعب فى تجويد الأعمال ومقاساة النصب فى تحسين الصنائع ، تُركيّون فى معاناة الحروب ومعالجة آلاتها ، فهم أحذقُ الناس بالفروسية وأبصرُهم بالطعن والضرب ، وذلك بحسب ما يقتضيه إقليمهم ، وأعطَتْه لهم نسبتُهم من ذلك على ما ذكره بَطْلَيْموس وغيره .

وفى بعض الأخبار أن العيص لمّا فارق أخاه خرج إلى العُدوة الغربية فغلّب عليها ، وكان العيص أحمرَ أشقرَ الجلد ، وتزوج ابنةَ عمه إسماعيلَ فولدت له الرومَ ابنه وخمسةً غيره ، وكان الرومُ أصفرَ شديدَ الصّفرة فلذلك سميت الروم ببنى الأصفر ، وقيل بل السبب فى التسمية غير ذلك وهم الذين بَنَوْا رومة وإليهم تُنسب ، وروى محمد(٢) بن وضاح أن المرأة التى قتلت يحيي بنَ زكريّا عليه السّلام من إشْبيليَة من قرية طالِقَة .

ذكر مَدَائِن الأنْدَلُس الكائنةِ بأيْدِى المسلمين بعد الأَربعمائة سنةٍ من الهجرة وذكر ما فيها

من ذلك كُورَةُ قَبْرَة

قال الرّازى : يتصل بآخر كورة قُرطُبَة أحوازُ كورة قَبْرَة ، وهى قِبْلَة من قرطبة ، أكثرُ أرضِها بيضاءُ ، يحجب تكاثفُ ثمارِها والتفافُ أشجارِها عيونَ النّاثلين ، وهى مخصوصة بكثرة الزيتون ، ولها مدينةُ بيّانة ، وهى عظيمة حصينة ، على ربوة طيبة التربة ، مغترَسَة بالشجر والكروم وأنواع الثّمرات ، ومسافةُ ما بين قُرْطُبَة وقَبْرَة ثلاثون ميلاً .

---

(١) الكلمة غير ظاهرة لتآكل الورقة من الرطوبة .

(٢) محمد بن وضاح بن بزيع أبوعبد الله توفى سنة ٢٨٧ وقيل سنة ٢٨٦ ، أنظر الضبى فى البغية ٢٦١ وابن الفرضى ١١٣٤ وبونس بويجس ٤٦ .

كورَة إلبيرَة

ويتصلُ بأحواز كورة قبْرَة أحوازُ كورة إلْبيرَة ، وهى بين القبلةوالشرق من قرطبة ، وأرضُها سُقيا ، غزيرة الأنهار ، كثيرة الثمار ، ملتفة الأشجار ، يحسنُ فيها شجر الجوْز وقصبُ السكر ، وفيها معادنُ جوهريةٌ من ذهب وفضة ورَصاص ونُحاس وحديد ومعدن حجر التُّوتياء، وهى أشرف الكُوَر نزلها جندُ دمَشق ، وبها جبلُ الثَّلج(١) لا ينقطعُ أبداً على مرور الأيام ، ومن دونه نهرُ غرَناطة، ولها من المدن مدينة قَسْطِيلية وهى حاضرةُ إلبيرَة، وفحْصُها كغُوطة دمَشق ، وبها مَقطعُ رخامٍ لينٍ أبيضَ يتصرّف تصرفَ الكذّان(٢) لِلِينهورطوبته وتُعمَل منه الأقداحُ والأطباقُ والأكوابُ والأسطالُ والحِقاق ، وكلُّ ما يُخرَط من الخشب يخرط منه

ولها مدينةُ غرَناطَة أقدمُ مدن كورة إلبيرَة وأعظمُها ويشقّ النهرُ مدينَتها وهو المعروفُ بنهر الفَلّوم ومخرَجه من جبل شُلَيْر ويُلتَقط فيه(٣) سُحالَة الذهب .

ولها مدينة باغُه(٤) وهي بين الغرب والقبلة من إلْبيرَة ، وهى بلدةٌ كثيرةُ الأشجار ، ولمائها خاصيّة دون المياه ينعقدُ حجراً فى حافّات جداوله ويجودُ فيها الزعفران .

ولها مدينة الأشات وهى المشهورةُ بوادى آش ، وهى كثيرةُ الأشجار والفواكه ، وتنحدر إليها أنهارٌ من جبل الثلج .

ولها مدينةُ بجّانة ومدينة المرِّية وهى بابُ الشرق ومفتاحُ التجارةوالرّزق، وبالمرية دارُ الصّنعةِ ، وسُورها على ضفّة البحر ، قد استقرّت فيها العُدّة (و ٣) والآلاتُ للسُّفن ولما يقومُ به الأسطول ، وكان يُعمَل فيها من الوَشْى والسَّقْلاطونى والبَغْدادىّ وسائرِ أجناس الديباج وجميع ما يعمل من الحرير

---

(١) المعروف ب Sierra Nevada

(٢) الحجارة الرخوة . اللسان مادة كذن .

(٣) السحالة بالضم ما سقط من الذهب والفضة اذا برد . قاموس .

(٤) Priego

ما لم يُعمَل مثلُه بصنعاء وعَدَن ، ومنها كان يُسْفَن إلى جميع الآفاق ، وكان يُعمَل فيها الحلَل الرفيعة القدر الكثيرة الأثمان، ملكها النّصارى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ومكثت فيها عشرة أعوام ثم استرجعها عثمانُ بن عبد المؤمن سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة .

ولها مدينة بَرْجَة وما انتظم من الحصون . ومن محاسن كورة إلبيرة أنها لا تعدم زَرِّيعة بعد زَرِّيعة ورفعاً بعد رفع طول العام ، ولها الكتّان الرفيع الذى له الفضل البائن .

كورة جيَّان

ويتصل بأحواز كورة إلبيرة أحواز كورة جيان جمعت تناهِيَ طيب الأرض وكثرة الثمّر واطّرادَ العيون ، ومدنُها كثيرة . ومن مدنها القديمة مدينة مَنْتِيشَة(1) وهى منيعة حصينة ، ولها مدينة أُبَّذَة وهى معروفة بأبذة العرب ، وهى من بنيان عبدالرحمن بن الحكم ، ابنه محمد بن عبد الرحمن زادَ فيها ، ولهامدينةُ بَيّاسَة وهى مدينة عظيمة طيبة الأرض كثيرةُ الزّرع والأشجار والكرم، وفيها الزعفران الذى لا مثل له ، دخلها العدوُّ فى أول سنة أربعين وخمسمائة وخرج سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، ولها مدينة نَنْتَشْكَة (2) وهى التى يُنْقَل منها الخشب فيعم الأندلس ، ولها حصونٌ كثيرة وبسيطٌ كبير ، ولها مدينة بَسْطَة وهى كثيفة الخيرات مخصوصةٌ بكثرة الثمَرات ، وفيها الطُرزُ الشريفة ، ومسافة ما بين جيَّان وقرطبة خمسون ميلا .

كورة تُدْمير

ويتصل بأحواز كورة جيَّان كورةُ تُدْمير وهى شرق من قُرْطُبَة أيضاً ، وتتناهى فى كرم البُقعَة وطيب الثمَرة ، وأرضها سُقيا وسُقياها بالنهر كسُقيا

---

(1) ياقوت ٨/١٧٢ وهى Mentesa

(2) كذا ضبطت فى الأصل ، وفى ياقوت (٥/٢٢٢) لتنكشة وهى فى المخطوطات الأسبانية والبرتغالية Lecho Seco انظر ترجمة ليفى ص ٦٦ هامش ٦ مجلة الأندلس المجلد ١٨ سنة ١٩٥٢) .

أرض مصر بالنيل من غير فيض ، وبها معادنُ الفضة وجمعت (ظ ٣) البرَّ والبحرَ ، ولها المدائنُ الشريفة والمعاقل المنفية ، منها مدينة لُورقَة ومنها مدينة مُرْسِيَه وهى من بنيان عبد الرّحمن بن الحَكَم ، ومنها الطرز العجيبة والصناعة الغريبة ، ومسافة ما بين تُدْمير وقُرْطُبَة للرّاكب القاصد سبعةُ أيام ، ومسافةُ ما بين تُدْمير وإلبِيرَة أربعةَ أيّام للراكب .

كورة بَلَنسِيَة

ويتصل بحَوْز كورة تُدْمير حوزُ كورة بَلَنْسِيَة وهى شرق من تُدْمير وشرقيٌّ من قُرطُبَة ، ولخِطَّة بلدها مسافةٌ بعيدة ، ومنافعُها لأهلها عظيمة ، جمعت البرَّ والبحرَ والزّرع والضّرعَ ، ولها السّهلُ والجبلُ ، وبهـا مدنٌ عظيمة وحصونٌ قديمة ، فمن مدائنها مدينةُ بَلَنْسِيَة وهى المعروفةُ بمدينة التُّراب ولها حِصن أرْغيرَة ؛ ودانيةٌ وهى مدينة على ضفة البحر ، ولها أقاليمُ(١) كثيرة متسعة ، ومرساها من أعجب المراسى ، وجميعُ أقاليمها وجبالها مُغْتَرَسة بالكروم وأشجارِ التين والزيتون ، ومدينة الجزيرة ومبناها على نهر شُقْر ، ولها من المدن والمعاقل حِصن شَاطِبة وهو قديم أوّلىّ مُطل على بطاح وأنهار ، ولها قصر يطل على بطحائها وعلى البحر يحارُ فيه النَّاظر وتعجز عنه الحكاية ، ويتّصل بها إقليم بُرَيّانَة ولها أرضٌ طيِّبة ، ولها مدينة أنْدَة وهى كثيرة المياه غزيرة الفواكه ، فيها معدن الحديد ، ولها مدينة شُبْرُب(٢) يجودُ فيها القمح والكتّان ، ولها حِصْن شَارِقَة وغيرُه من الحصون ، ومدينة جزيرة شُقْر فيما بين بَلَنْسِيَة وشَاطِبَة .

مدينة(٣) طُرْطوشَة

ويتصل بأحوازِ كورة بلنسية أحوازُ مدينة طرطوشَة ، وهى مدينة مُتقنةٌ الأسوار ، قد أنافت على نهر إبْرُه وقَرُبت من البحر الثانى الذى ينصب فيه

---

(١) الأقاليم جمع اقليم وهو عنـد الأندلسيين القرية الكبيرة الجامعة أشار اليه ياقوت ٣٢٩/١ .

(٢) ياقوت ٢٣١/٥ .

(٣) المدينة مرادفة للكورة Dozy : *Supp. aux Dict. arabes*, II, 575

هذا النهر ، وهي شرق من بلنسية وشرق من قرطبة (و ٤) وهي باب من أبواب البحر يسلكه التّجار في كل جهة ، وبها شجر البَقْس (١) وخشب الصَّنَوبرَ ، ولها حصون كثيرة وأقاليم واسعة .

مدينة طَرَّكونَة

وتتصل بحَوْز طُرْطوشَة وهي مدينة أولية على شاطىء البحر توسّطت بين مدينة طرطوشة وبرشلونة ، وفيها معالم ظاهرة قائمة .

مدينة لارِدَة

وتتصل بها مدينةُ لارِدَة ابتُنيَت على نهر شُقْر ومخرج هذا النهر من أرض الجَلالقة ، ولها من المدن مدينة قَرَبين (٢) وهي على نهر نُقَيرَة (٣) ومدينة بلغير (٤) على نهر شُقْر ، ومدينة إفْرَاغَة ، وهي على نهر الزيتون ، ولها حصون كثيرة ، وتصيرت لارِدَة وإفراغة للعدوّ بجميع ما هنالك من المعاقل سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة عند دخولِه طُرْطُوشَة .

مَدينة بَرْبطَانيَة

وتتّصل أحوازُها بأحوازِ لإرِدَة ، فمن مدنِها بَرْبَشْتَر وهي من أمّهات مدُن الثّغر غزاها العدوّ على غِرّة من أهلها في نحو أربعين ألف راكب فقاتلها أربعين يوما فافتتحها وذلك سنة ستّ وخمسين وأربعمائة فقتلوا عامّة رجالها وسَبوا من فيها من نساء المسلمين وذراريهم مالا يُحصى كثْرة واختاروا من نساء المسلمين خمسةَ آلاف وأهدوهنّ إلى ملك القُسْطَنْطينيّة وفتحها بعد ذلك أحمدُ بن سليمانَ ابن هودٍ الجُذاميّ صاحبُ سرَقُسطَة مع أهل الثغور ، ولها حصون كثيرة .

(١) البقس شجرة كالآس ورقاً وحباً . قاموس مادة بقس

(٢) تقابل في الترجمة Carabinas

(٣) يقابل Noguera

(٤) يقابل Balaguer

مَدينةُ أَشْقَةَ(١)

وهى شرق سَرَقُسطَة ومدينتُها أولية قديمةٌ رائقةُ البنيان، ولها حصون كثيرة . قال أبو عبَيْدِ البَكْرِىّ : ومسافةُ ماتملّكه المسلمون من الأندلس فى زماننا هذا وهو سنة ستين وأربعمائة ثلثمائة فرسخٍ وفى العرض ثمانون فرسخاً ، وتصيّرت للنّصارى على رأس المائة السادسة .

مَدينة تُطيلَة

وتتّصل بأحوازِ مَدينة أشْقَة حازت الغايةَ فى شرف البُقعة ، وحوت طيّبَ الزّرع ودَرَّ الضّرع وكثْرةَ الثّمار وهى أقصى ثغورِ المسلمين وبابٌ من الأبواب التى يُدْخَل منها إلى أرض المشركين ، وكان بها بعد الأربعمائة (ظ ٤) امرأةٌ لايُؤْبَه لها / (لها)(٢) لحية كاملة كلحى الرّجال وكانت تتصرّفُ فى الأسفار وسائرِ ما يتصرّفُ فيه الرجالُ فلا يُؤْبَه لها حتى أمر قاضى الناحيةِ نسوةً من القوابل بالنّظر إليها (فأخبَرْن)(٣) أنّها امرأة فأمر القاضى بحلق لحيتها وأن تتزيّا بزِىّ النساء ولا تسافر إلا مع ذى محْرم .

ومن مدائنها المعروفةِ مدينةُ طَرَسُونَة ، ومدينة أرْنيط وهى مطلّة على أرضِ العدوّ، ومدينةُ فَارُه ومدينةُ نَاجِرَة ، ومن طَرَسونَة إلى تُطيلَة اثناعشر ميلاً ، وتصيّرت للنصارى على رأس المائة السادسة .

مَدينة سَرَقُسْطَة

وتتّصل بأحواز تُطيلَة ، وهى شرق من قُرْطبة، أطيبُ البلدان بقعةً وأكثرُها عدّةً، ولأهلها فضل الحِكمَة فى صنعة السّمّور والبراعةِ فيه بلُطف التّدبير وهى الثّياب الرّقيقة (يقوم بطرزها بكمالها)(٤) منفردة بالنسج فى

---

(١) كذا وردت فى الأصل وهو ما ورد فى ياقوت مع اختلاف الشكل (١/٢٥٩) والمشهور انها بالواو وشقة .

(٢) زيادة اقتضاها السياق .

(٣) فى الأصل فاخبروا .

(٤) كذا فى الأصل .

منواليها ، ولا تُحكَى فى أفقٍ من الآفاق ، وفيها مَعدِنُ المِلح الأنْدَرانى(١) وهو الأبيض الصّافى وليس هو فى غيرها ، ولها مدن ومعاقل منها مدينةُ قلعةِ أيّوب عظيمة جليلة القدر ، ولها من الأقاليم عِدّة .

مَدِينَة سالِم

كانت من أعظمِ المُدن وأحصنِها ، وفيها آثار عظيمة اعتمَرها المسلمون بعد طارِق .

مَدِينَة شَنْتَبرِيَّة

وهى شرقٌ من قرطبة ولها حصونٌ كثيرة .

مَدِينَة طُلَيْطُلَة

كانت قاعدة ملوك القُوط ومحل اختيارهم وإحدى المدائن الأربع التى هى قواعدُ الأندلس، وهى مُطلة على نهر تَاجُه، وعليها كانت القنطرة التى يعجز الواصفون عن صِفَتها ، وفيها وجدت المائدةُ ، وهى من أجلّ المدن قدراً (وأعظمِها) (٢) خطراً وأشدّها حصانةً. ولم تزل مَوئِلاً وملجأ ومَقصداً للخلق يقصدونها من كلّ الجهات فتعودُ عليهم بالرِّفق (وهى) كريمة الأرض، زاكية الزّرع ، طعامها مع الأيام لا يتغيّر ومع الزمان لا يتنكّر، يودع قمحها بطونَ الأهراء فيلبثُ غايةَ الأعمار سبعين عاماً ثم يُلْفَى صحيحاً لم تمازجه عاهة ولا وصلت إليه آفة ، وزعفرانُها المتناهى الفضل (تتفاوت) (٣) جودتُه على كلّ زعفران ، وكانت أعظمَ مدن الأندلس (قديماً) (٤)، ولها المدن الكثيرة، ومساقة ما بين طُلَيْطُلَة وقُرْطُبَةَ للفارس سبعةُ أيّام ، ولِمحَلاّت العساكر (أربع عشرة) (٥) مِحَلّة ، ولها من الأقاليم إقليم شاقِرة وفيه حصون

---

(١) هو ملح معدنى متبلور انظر. Levi. Provencal : *La Peninsule Ibérique* p. 264.

(٢) فى الأصل واعظمهم .

(٣) كذا فى الأصل ولم نجد فى القواميس الفعل مستعملا على هذه الصورة بمعنى فاق.

(٤) الكلمة فى الأصل مضطربة .

(٥) فى الأصل اربعة عشر محلة .

عدة ، ثم إقليمُ شِشْلَة(١) ومدينة وقّش ثم إقليمُ الأُشْبُورَة(٢) وإقليمُ القَاسم(٣) إلى غير ذلك .

ومن مدائن طُلَيْطُلَة طَلَبِيرَة وهى كانت حَجْزاً بين المسلمين والمشركين وهى مَنيعةُ الأسوارِ ، عاليةُ المنارِ ولها إقليمُ الفَحْص وإقليم السَّنْد(٤) وإقليم بَاشَك .

مَدينَةُ قلعةِ رَبَاح

وهى غرب من طُلَيْطُلَة يطيبُ مرعاها ، ويزكو طعامها ، وتحسنُ الماشية فى مسارحها ، ولألبانها فضل بائن على غيرِها .

مَدينَةُ قلعةِ أُورِيط

ولها حصون ومعاقل : فحصنُ البَلّوط سهلُه متّصل بجبال فيها معادن الزّئبق ومنه ينتشرُ فى كل أفُق ومادّته غزيرةٌ ، لا ينقطع ، وفيه الزُّنْجُفُور(٥) المنقطع القرين الذى لايوجد له نظير ، وفيه شجر البَلّوط الحُلو اللّذيذ الطعم ولا يبلُغُه بلّوط (فى)(٦) الأندَلُس ، وله مدينة لُك(٧) .

ودخلت(٨) النّصارى بعد الأربعين وخمسمائة ثم أُخذَ منهم عَنوَةً .

مَدينَة فِرِّيش(٨)

وهى غرب من فَحْصِ البَلّوط وقُرْطُبَة ، ولأرضها زَرعٌ كثير وفيها

(١) ياقوت ٢٦٢/٥ .

(٢) ياقوت ٢٥٣/١ .

(٣) ياقوت ١١/٧ وسماه حصنا

(٤) لم ترد مضبوطة فى الأصل وقد ضبطناها عن ياقوت (١٥٢/٥) ونص على أنها ناحية من أعمال طلبيرة ؛ أما دوزى فى (Recherches 3e. II, 345-47) وليفى بروفنسال فى *Peninsule Ibérique*, p. 269 فيقرءان ما كان علىهذه الصورة من أسماء المواضع فى الأندلس السند بفتح السين المشددة والنون محركة بمعنى سفح الجبل .

(٥) كذا فى الأصل وفى القاموس الزنجفرمن غير واو وهو صبغ .

(٦) زيادة يقتضيها السياق .

(٧) ياقوت (٣٣٧/٧) نص على أنها من أعمال فحص البلوط .

(٨) ورد ما بين الرقمين مكتوبا على الهامش .

أجناسُ الثمار ، والغالبُ على ثمارها شجر الشاه بلوط وهو القسطل وشجر الغراسيا وشجر الجِلَّوْز (١) وشجر الجوز ، وبها مقاطعُ الرخام الناصع البياض ، الشديدِ الصفاء ، وفيها عيون ثجَّة تتدفق بالمياه الغزيرة وتَطْحَن بها الأرْحِيُّ ، وهي أكثرُ البلدان معادن الحديد، ولها من الأقاليم إقليمُ لَوَاتَة (٢) وإقليمُ المَرْج (٣) وإقليمُ السند (٤) وإقليم قسطانية (٥) وإقليم موالى مُوسى .

كُورَة مَارِدَة

وتتصل بحَوْز فريش إحدى (ظ ٥) القواعد التى تخيَّرها ملوكُ العجم للقواد والقياصرة قبلهم ، ومسافةُ ما بينَ مارِدةَ وقُرْطُبَة للراكب القاصد خمسةُ أيام ، ولمحلات العساكر عشرةُ أيام ، ولمَارِدَة حصونٌ عدة . ومن كورة مارِدَة بَطَلْيَوْس وهي مدينة عظيمة كثيرةُ الحِذق جامعة للخَلق ، وأرضها كريمة ، ولها أقاليم عِدة . ومن كورة مَارِدَة مدينة تُرُجِيلُه (٦) وبينها وبين قُرْطُبَة ستة أيام ، ومدينة قُورِيَة ولها حصون أربعة وثلاثة أقاليم .

كُورَة بَاجَة

وتتصل بكورة مَارِدَة وهي أرضُ زرع وضرع ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنه العسلُ ، ولمائها خاصية فى دبغ الأديم لا يبلغه دباغ فى الجودة ، وخطتها واسعة ؛ ولها مدن ومعاقل وأقاليم ، ومن مدائنها القَصْرُ ، وأوْرُش (٧) ، ومسافةُ ما بين باجة ومَارِدَة للراكب ثلاثةُ أيام .

---

(١) الجلوز كسنور البندق ، قاموس : مادة جلز

(٢) ياقوت ٧/٣٤٠ .

(٣) مرج فريش ياقوت ٥/١٥٢ .

(٤) ياقوت ٥/١٥٢ .

(٥) كذا فى الأصل ولعلها قسطنطينة وقد ذكرها صاحب الروض المعطار ص ١٤٣ .

(٦) ياقوت ٢/٢٧٦ وضبطت بفتح اللام وهى Trujille

(٧) لعلها Auros أنظر : Madoz : Dicc. Geografico t. III p. ١١١

مدينة شَنْتَرِين

وتتصلُ بأحوازِ كورة بَاجَة ومُبْتَنَاها على نهر تَاجُه ، وبُرْجُهَا سامى الذّروَة مُتناهٍ فى الحَصانَة .

مدينة أُشْبُونَة

وتتّصلُ بأحوَاز مَدينة شَنْتَرِين وهي قديمَة، ولها خَصلَة بانَتْ فى طيب الثمَرات وإمكانِ ضروب الصّيدِ من برّ وبحر ، وبُزاتُها أحسنُ البُزاة ، وفى جبالها شَورَة العسل وهو الأبيض الخالِص يشبهُ السكّرَ فى المذاق ولها معدن من التّبر الخالصِ غزيرِ المادة .

ومن مُدنها شَنْتَرَة ومُنْت شيُون ، ويُلْفى بريفِ الأشْبُونَة العنبرُ الفائقُ المتناهى كثيراً ، وهو يفوقُ كلّ عنبر ولا يشبهُه إلا الهِنْدىّ؛ واستولت النّصارى على شَنْتَرِين وشَنْتَرَة وأشْبُونَة فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وكانوا ثلاثةَ عشر ألفِ رجل ، وفنى الكلُّ فى القتال ولم يبقَ منهم إلاّ اليسيرُ.

مَدينَة أُكْشُونبَة

وتتّصل بأحوازِ الأشْبونَة ولها سهلٌ منبسط ، كثيرةُ المرافِق وضُروب الثّمار وطيّب الزّرع وفَيض البركات ؛ ولها جبل جمع المسارحَ النّائيةَ والمياه الجارية ،وصيدُها كثير فى البرّ والبحر (و ٦) وهى من أحسن البقاع متنزّهاً وبحرُها يخرجُ منه العنبرُ؛ ومن مدائنها مَدينَة شِلْب وهى حاضرةُ الغرب وليس للمسلمين فى الغرب مثلُها بعد إشْبِيلِيَة، ومُبتَناها على نهر بمدّه بحرٌ؛ وبينها وبين شَنْتَرِين للقاصد أربعَةُ أيام ، ومسافةُ ما بينها وبين قُرْطُبَةَ للرّاكب القاصد تسعةُ أيّام ولأُكْشُونبَة عِدّة أقاليم وحصون .

حُصُون لَبْلَة

وتتّصل بأحواز أكْشُونبة وهى من أطيب البُلدان ، جامعة لكلّ وجه من الفوائد ، محبوة بصنوف الخيرات ، لم يبعدْ عنها شى ، قد جمعت البر والبحر

والزَّرع والضَّرعَ والخيلَ والنِّتاجَ وأجناسَ الثمَر وكثرة الزيتون والأعناب ، فاقت بخاصيّة من فضل الأديم الأحمر الفاضل البديع ، ولها مدنٌ ومعاقلُ منها مدينة لَبْلَة المعروفة بالحَمْراء ، أوّليةٌ قديمة فيها آثار الأوّل وهى على نهر ، وبها ثلاثُ عيون إحداها (عين [1] ليس) وهى عذبةٌ طيبةٌ ، والثانية عين تنبعثُ بـ (الشب)[2] والثالثة عين تنبعث بالزّاج ؛ ولها مَدينة قرْقيّة ومدينةُ جبل العيون وهى متوسِّطة لمدائن الغرب ، ولكورة لَبْلَة ثمانيةُ أقاليم .

كورة قَرْمونَة

وتتّصل بأحواز مدينة إشبيليّة وهى شرقٌ منها وغربٌ من قُرْطُبَةَ قديمة البنيّة أحصنُ المدن وأتقنُ المعاقل وأحماها وأمنعُها ، ولها مدنٌ كثيرةٌ منها مدينةُ مَرْشانَة ومنها مدينة بَرْذِيش [3] ومنهـا مَدينَةُ طَنَوبَرَة [4] ؛ ومسافتُها إلى قرطبةَ خمسةٌ وستّون ميلا .

كورة إشبيلِيَة

وهى شرق من كورة لَبْلَة وغربٌ من قرطبة ، كانت قاعدةً من قواعد العجم ، اتُّخذت دارَ مملكة ومحلّة اختيار أوفت على النّهر الأعظم ، واستقربَت من البحر وبانَت بكلّ خصوصيّة ، وفازت بكلّ فضيلة ، وقابلت معالمُ مدينتها المشرفة جبلَ الشَّرَف أشرَف بقعة وأكرمَ تربة ، المغتَرس بالزيتون الدائم عند اخضراره ، النادر عند اعتصاره ، لا يتغيّر به حالٌ ولا يعتريه اختلالٌ (ظ ٦) قد أخذَ فى الأرض طولاً وعرضاً فراسخَ فى فراسخَ ، ويبقى زيتُها برقّته وعذوبته لا يتغيّر طعمُه ولا يتغيّر بطول مكثه فاضلاً بخاصّة بقُعته على غيره من الزيت ، وكذلك يبقى عسلُها لا يرمّل وبحالته الأولى لا يتبدّل ، وكذلك اليابس من تينها يبقى دهراً طويلا ؛ ومن فضائلها التى انفردت بها ماتُنبت أرضُها

(١) كذا فى الاصل وهى فى الروض المعطار (ص ١٦٨) عين تهشر .

(٢) الكلمة غير ظاهرة فى الاصل ونقلناها عن الروض (ص ١٦٨)

(٣) ياقوت ١٢٢/٢ .

(٤) ياقوت ٦٣/٦ ولعلها تقابل Tabubera الواردة فى النص المترجم أندلس ٩٥ .

من عجيب قُطنها (الذى[1]) يحسن فيها ويزكو بها ويعمّ آفاقَ الدنيا منها ، ويجهّز إلى القيروان وغيرها ، وكلُّ ما استودعَ فى أرضها واغتُرس فى بقعتها مما وزكا فى اختباره وفضل فضلاً بيّناً على غيره ، حازت البرَّ بما استقبلته من جهاتِه ، والبحرَ بما اشتملت عليه خواصُّ منافعه ، واحتوت على الزّرع والضّرع وكثرة الثمرات من كل الصفات وفضل الصّيد فى بر وبحر ؛ ولها مرافقُ كثيرةٌ شتّى ؛ ومَرْجُها لا ينهشمُ صيفاً ولا ينحطِمُ ، ويتمادى كلؤه رطباً ، وبذلك يصلُح نِتاجُها وتدوم ألبانُ ماشيتِها ، ولو كان يقتصِرُ عليها بالمسارح أهلُ الأندلس لاتسعت لهم ، وهى من السّواحل التى يحسنُ فيها قصبُ السكّر ؛ ومسافةُ ما بين إشبيليةَ وقُرْطبةَ تسعون ميلاً ، ولكورة إشْبيليةَ من الأقاليم إقليمُ المَدِينَة وإقليم أُلْيَة (٢) وإقليمُ البَصَلِ (٣) وإقليم طالِقَة وإقليمُ الشَّرَف وإقليمُ الوادى وإقليمُ الفَحْص وإقليم (طشّانة (٤)) وإقليمُ قَطْرَسانِيَة (٥) وإقليمُ (المسير (٦)) إلى غير ذلك ..

كورة مَوْرُور

وتتّصل بأحوازِ مدينةِ قَرْمُونَة وهى من مُدن قُرْطُبَة بين الغَرْب والقِبلة اشتملت على وجوهِ الفوائدِ ، ووُهب لها حظٌّ وافرٌ من الفضائل ، منها كثرةُ الزّيتون والثّمرة وطيب الفواكه والبرَكة فى كلّ ما تُنبته أرضُها ، ولها سهلةٌ بسيطةٌ وجبالٌ شامخةٌ منيفةٌ ، ومدينتُها قَلْب (٧) كان يحميها القليلُ عن الكثير ويمنعها الواحد عن الجميع ، ومسافةُ ما بينها وبين قُرْطُبَة ستون ميلاً .

---

(١) فى الأصل التى

(٢) ياقوت ٢٢٩/١ .

(٣) ياقوت ٢١٠/٢ .

(٤) كذا فى الأصل ولعلها طشتانة وقد ذكرها ابن عذارى فى البيان المغرب ١٩١/٣ .

(٥) ياقوت ١٢٤/٧ .

(٦) كذا فى الأصل .

(٧) فى الروض المعطار (ص ١٦٢) : ولها بطائح سهلة وجبال شامخة وعرة منها جبل بقبلتها منيع وعر حصين وعلى مقربة منه جبل القرود .

كورَة شَذُونَة

وتتّصل بأحوازِ كُورة مَوْرُور ، وهى شريفةٌ عظيمةُ الخطر (و٧) جامعةٌ لخير والبَرّ وبركة البحر ، يُنتَجع من كلّ الآفاق بحُلاها ، ويُحمَد مرعاها ، لا تتغيّض مياهُها ولا ينهشم مع المحول ثمارُها ولا تُنتقَص فواكهها .

ومن مدنها مدينة قادس وعجيب مبتناها وأعلاها . باقيةُ الآثار لم تتغيرْ ، وفيها الصّنم الذى لانظيرَ له إلا الصّنم المُبْتَنى على ريف جلّيقية ، وشجرُ الزيتون والعنب والتين فى كورة شَذُونَة كثير مستفيض ، ولها أقاليمُ يطول ذكرُها فيها مدن خربة لم يبقَ منها غير مَدينة شَرِيش وهى حاضرةُ هذه الكورة ، وأحوازُها تتّصل بالبُحَيْرة ؛ وعملُ شَذُونَة خمسون ميلاً فى مثلها .

كورَة الجزيرَة الخضراء

وتتّصلُ بشذونةَ أحوازُ الجزيرة وهى شرقٌ من شَذُونَة وقبلَة من قُرْطُبَة ، ومدينتُها من أشرف المدن وأطيبها أرضاً وأرفقها بأهلها وأجمعها لخير البرّ والبحرِ وقرب المنافع من كلّ جهة ، توسّطت مدنَ السّواحل وأشرف سورُها على البحر ، ومرساها أيسرُ المراسى للحيوان وأقربُها من العُدوة ، ولها البُحَيْرَة وهى أرضُ زرع وضَرْعٍ ونتاج ، ومُنتهاهــا على نهر بَرْبَاط أحدقَ بالبُحَيْرَة فبعُدَت على منْ قصَدَها ، ولها عدّة أقاليم .

كُورَة رَيّه

وتتّصل بحَوْز الجَزيرَة ، فضلَت بكثْرة خيراتٍ ، وخُصّت بعموم بركات ، أرضُها عيونٌ مطّردة ، وأنهارٌ غزيرةٌ بحرية : لها سهلٌ متّسع ، وجبلٌ ممتنع ، ومدنُها كثيرةٌ وحصونُها حامية ؛ فمن مدنها مدينة أرْشُذُونَة وهى حاضرتُها وقاعدةُ كورتها وقد استولى عليها الخرابُ . ومدينَة مالَقَة وهى مدينةٌ أوليةٌ على شاطىء البحر ، وهى حاضرةٌ من أعظم حواضر الأندَلس تقوّت بضعف غيرِها وزاد فيها الكثيرُ ممّا نقص من غيرها .

مَدينة قَرْطَمَة[1]

وهى مدينةٌ حاربت بالطّاعة أهلَ المعصية (ظ ٧) واستمرّ أهلُها على الطّريقة الحميلة ، وهى فى زماننا هذا خرِبة إلا اليسيرُ وهى معدودَة فى البادية، ومدينة شَمْجَلَة (٢) وهى بقُرب البحر وهى خرابٌ كذلك ، وكذلك مدينة المرِّية .

حِصْن بُبَشْتُر

وهو الحِصْن المنفَرد بالامتناع ، والواحدُ فى الحَصَانة والانقطاع ، صخرةٌ صمّاء من جميع النواحى ، وإذا توصّل المتوصّلُ إلى أعلاه ألفاه سهلاً منفسحاً ورحباً منبسطاً ، كثيرَ الكرم والزيتون والرّمان واللّوْز ، ولكورة ريَّه حصون عديدة وأقاليم كبيرة .

كُورَة إِسْتَجَّة

وتتّصل بأحواز كورة ريُّه وهى قديمةٌ كثيرة الأرضين منفسحة البطحاء كثيرةُ المرافق ، ابتُنِيَت على نهر سَنْجيل وهو نهر غَرْنَاطة ، ولها عدةُ أقاليم تاكُرُنا ومعاقِلُها كثيرةٌ حصينَة وجبالُها شامخةٌ تعلو جبالَ الأندلس ، وتخرج منها الأنهارُ ولا يدخلها نهرٌ ولا يساويها جبل بالأندلس ولها معاقلُ منيعةٌ وحصون ، وبينها وبين قُرْطُبَة ثلاثون ميلاً .

قُرْطُبَة

قال أحمدُ الرّازىالكاتبُ: قُرْطُبَةُ قاعدةُ الأندلس وأمُّ المدائن. وقرارُ الخلافة ودارُ الملك، تجبى إليها ثَمراتُ (كل(٣)) جهةٍ وخيراتُ كلّ ناحية. واسطةٌ من الكور ، وموفيةٌ على شاطىء النهر . مشرفَة رائقـة مونقة ، نهرُهـا ساكن فى جَريه ، ليّن فى انصبابه ، بقبلتها بطاح سهلة ، وبجوفها

---

(١) ياقوت ٧/٥٥ وفى النص المترجم Cartama ص ٩٩ اندلس .

(٢) ويقال شمجيلة ياقوت ٥/٢٩٢ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

الجبل المنيفُ المسمى بالعَرُوس : المغروسُ بالكروم والزيتون وسائرِ الأشجار وأنواعِ الأزهار .

أجمع أهلُ التاريخ أن دَوْر قُرْطُبَةَ كلها ثلاثةٌ وثلاثون ألف ذراع ، وعدد أبوابها سبعة ، وعددُ أبراجها المنتظمة بدَوْر السور من جوانبها الأربعة مائتان واثنان وسبعة أبراجٍ ، وعددُ أرباضها المحيطة من جميع نواحيها عشرون ربَضاً ، ويدورُ بجميع هذه الأرباضِ الخندقُ المشهورُ لم تقتدر على مثله أمةٌ من الأمم ، وهو المحيطُ بجميع أرباض قرطبة ومساكنها ؛ وذَرْع دَوْرِه من من جهاته الأربع ثلاثةٌ وعشرون ميلاً .

قال ابن حيان : لم يتَّخذْ في الإسلام فيما يعرَفُ (و ٨) أعظم منه ، وكان يُكسى كلّه من جميع نواحيها أيامَ الحرب سلاحاً وعُدّة ورجالاً ؛ وعِدّةُ المساجد بهذه الأرباض مع المدينةِ العُليا ألفُ مسجدٍ وثمانمائةُ مسجدٍ وستةٌ وثلاثون مسجداً ؛ وعدة الحمّامات المُبْرَزَةِ للناس سبعمائةُ حمّام ونيّف وهذا كله عند انتهاء كمالها ، وعِدّةُ دور الرّعايا والسواد بها الواجب على أهلها المبيتُ في السّور أيّام الفتنة مائةُ ألف دار وثلاثةَ عشرَ ألف دارٍ حاشا دور الوزراء وأكابر الدّولة ومن أحرمَ بحُرْمة السلطان من السيدات والرّواشد وخدَم الحُرمة والطبّاخات وحرَم الفتيان ستةُ آلاف وثلثمائة وأربعَ عشرةَ امرأة ؛ وعدةُ الفتيان فيه على اختلاف منازلهم وضروب أعمالهم وتصرّفهم ثلاثةُ آلاف فتى وسبعةٌ وثمانون وكان لهم في كل يوم من اللّحم ثلاثةَ عشرَ ألف رِطلٍ والرّطل ستةٌ وثلاثون أوقيّة ، يُغدَق عليهم من عشرة أرطال إلى رطل واحد حاشا ضروب الطّير والدّجاج والحيتان .

قال ابن النظّام (١) في تاريخه : مما يدلّ على عِظَم قرطبة كان يدخلُها على سائر طرُقِها أيّام اكتمالها من جلائب الغنَم في كل يوم أيّام درور الجلائب بها — وهي معلومة — ما بين سبعينَ ألف رأس إلى مائةِ ألف رأس حاشا البقر ؛ وكان يُباع فيها من أنواع السّمك المملوحِ وغيره في كل يوم على اختلاف أجناسه أيام جريانه بعشرين ألف دينار قاسمية على اعتدال القيم .

---

(١) كذا في الأصل بالألف واللام وهو أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم بن نظام الأخباري التاريخي نقل عنه ابن حيان أنظر الضبي ١٠٧٠ وابن الأبار تكملة ١٢٧٠ وبونس بويجس ١٢٤

ذكرُ مسجدِها الجامعِ

كان طولُ المسقّفِ منه من القبلة إلى الجَوْف مائتان وخمسةٌ وعشرون ذِراعاً ، وعَرْضُه من الشّرق إلى الغرب مائةُ ذراع وثمانيةٌ وثلاثون ذراعاً ثم زاد المستَنْصرُ بالله الحكَمُ بنُ عبد الرحمن النّاصر فى طوله مائةَ ذراعٍ وخمسةَ أذرع . فكمُل طولُ المسقّف ثلاثمائة ذراع وثمانية وثلاثون ذراعاً ؛ وزاد المنصورُ محمّدُ ابن أبى عامرٍ بأمر هشامِ المؤيّد بنِ الحَكَم فى عَرْضه من جهة الشّرق ثمانين ذراعاً فتم العرض مائتى (ظ ٨) ذراع وثمانية ذراعاً ؛ وطول الصحن من الشرق إلى الغرب بالزيادة العامرية مائتا ذراع وثمانية عشر ذراعاً ؛ وعرضه من القبلة إلى الجوف مائةُ ذراع وخمسة أذرع .

صِفَةُ المقْصورَة

طولُها من القبلة إلى الجَوْف ستةٌ وخمسون ذراعاً وعرضها من الشّرق إلى الغرب أربعة وعشرون ذراعاً ، وكان بابُها من ذهب مضروبٍ ، وعِضادتاه عودان من أبَنوس ، طولُه وأوصالُه من فضة .

صِفَةُ المِحْراب

طولُه من القبلة إلى الجَوْف ثمانيةُ أذرع ونصف ، وارتفاعُ قَبوه ثلاثة عشر ذِراعاً ونصف ذراع ؛ سقفُ القبو من رُخامةٍ بيضاءَ منقورَةٍ بالحديد على صِفَة المَحارة قد أحكمَت وأنزلَت فى موضعها بأتقن صنعة ؛ وهو مثمّن البنيان من داخله ، مكسوّة جوانبُه بثمانية ألواح من الرّخام طول كلّ لوح منها ( ) (١) الثمن الذى انطبع فيه ثمانيةُ أذرع تامّة عرضُ الستة منها ستة أشبار وعرض اللوحين الباقيين ثلاثة ثلاثة أشبار إلى موضع الرّف المستدير على رءوس الألواح ، المعمولِ بالرّخام ، وأرضُه مفروشةٌ بالرخام الأبيض ، فى عتَبة بابه لوح رخامٍ أبيض يُمسِكه ما بين عِضادَتيه وما تحت سَوارى العضادتين ؛ طولُه

(١) الكلمة غير ظاهرة ويليها بياض .

اثنا عشر شبراً ، وعرضه أربعةُ أشبار ، وجدار المحراب وما يليه قد أجْرِىَ فيه الذهبُ على الفسيفساء .

صِفَةُ المِنْبَر

عودٌ مؤلّف من الصّندل الأحمر والأصفر والأبَنوس والعودِ الرطب والمرجان . أوصالُه من فضة مثبّتة منيَّلة ، ارتفاعُه تسع درجات ، سَعَتُه أربعةُ أشبار ونصفُ شبر ، والذّراعان الممتدّان على جانبيه من أعلى الأدراج إلى أسفلها من أبَنوس ، طولُ كلّ ذراع منهما ثمانية عشر شبراً .

* * *

عِدّةُ أعمدة الرّخام فيه ألفُ عمود ومائتا عمود وثلاثةٌ وسبعون عموداً ومثلُها مدفونة تحت الأرض وقد وُجِدَ منها جملةٌ عندما أمر أبو (سعيد) (١) عثمانُ بن عبد المؤمن أن يغرسَ صحنَه بأنواعِ الأشجار . ارتفاعُ المنارة ثلاثةٌ وسبعون ذِراعاً إلى أعلى القُبَّة التى يستدبرُها المؤذّن ، وفى رأس هذه القبّة تُفّاحُ من ذهَب وفِضّة . وارتفاعُها إلى مكان الأذان أربعةٌ وخمسون ذِراعاً ، وعرضُ كلّ جانب من جوانبها الأربعة الدائرةِ بها ثمانية عشر ذراعاً ، وفيها من أعمدة الرّخام مائتان ونيّف وخمسون عموداً ، وعدد أدراجِها من النّاحية الواحدة منها مائةُ درج وسبعة أدراج ، وفى الناحية الأخرى مائةُ درج وخمسة أدراج .

عددُ ألواح الرّخام المنصوبة فى الحيطان لدخول الضّياء عليها أربعةٌ وخمسون لوحاً ، وفى الجهة الشرقيّة منها خمسة عشر لوحاً وفى الغربيّة مثلُها ، وفى القبلة منها ثمانية عشر لوحاً ، وفى السَّاباط الذى يدخل منه ساكنُ القصرِ إلى الجامع ستة ألواح .

عدد ألواحه كبارِها وصغارِها مع أبواب النساء سبعةَ عشرَ باباً ؛ عددُ الثّريات فيه كبارِها وصغارِها مائتا ثريّةٍ وثمانون ثريّة ، ثلاثٌ من فضة ؛ وعددُ كؤوس جميعها سبعةُ آلاف كأس وخمسة وعشرون كأساً الكبار منها ألفان وتسعمائة منها فى الثّريّا الكبيرة المعلّقة فى القبة العظمى ألف كأس وعشرون

---

(١) ساقطة من الأصل .

كأساً ؛ يحترق فيها من الزّيتِ مائة قنطار وخمسة وعشرون قنطاراً ، منه فى شهر رمضان خمسةٌ وسبعون قنطاراً ، لليلة تسع وعشرين منه وهى ليلة الإحياء على ختْم القرآن خمسة وثلاثون قنطاراً ، والأربعون قنطاراً فى الشهر كله ويحترقُ باقى العدد بطول السنة ؛ وقِنطار الزيت قنطاران ونصف قنطار ، ويحترقُ فى الليلة المذكورة من الشّمع ثلاثة قناطير ، وأما من النّدّ والعنبر فكثير .

وكان يعمره ويخدمه من الخطباء والأئمة والمؤذنين والقَوَمَة مائة رجل وعشراتٌ لهم من الدنانير على اختلاف منازلهم ثمانمائةُ دينار فى الشّهر مكافأة على رُتْبَتِهم وتعطيل (ظ ٩) أشغالهم حاشا الديار لسُكناهم قال ابن حيان : وجدتُ بخطّ الحكَم أنمبلغ النّفقة فىالزيادة المنسوبة إليه من الدنانير مائتا ألف وواحد وستون ألفاً وخمسة وتسعة وثلاثون ديناراً وعشرون ونصف عشر .

ودخلَت النّصارى هذا الجامعَ المكّرم عند دخولِها قُرْطُبَة سنة أربعين وخمسمائة عندما هاجت الفتنة الثانية ثم من الله تعالى بخروجهم بعد تسعة أيام أو نحوها وحُمِلَت التّفافيحُ التى كانت فىالمنار من الذّهب والفضة وحملت من المنبر نحوُ نصفه وبقى الباقى ونُهِبَت أوصالُه وثرياتُ الفضة عند دخولهم ؛ وأما بابُ الذّهب الذى كان للمقصورة فانه نُهِبَ مع بيت مال الجامع فى الفتنة الأولى ؛ وأخبرنى من أثقُه من أهل قرطبة قال دخلتُ الجامع فى اليوم الثّانىمن خروج النّصارى عن قُرْطُبَة مع جملة الناس فاجتمعنا على ما بقى من المنبر ليُنْزلوه من ذلك الموضع ، فلما أنزلناه وجدنا تحته مقدار ما تحمله دابتان من رمل أبيضَ مثـــل سُحَالة الفضة فأردنا إزالته وتنظيفَ الموضع فأخبرنا شيخ من أهل العلم بخبره أنه من رمل جلّيقية دمّرَها اللهُ جلبه ابنُ أبى عامر فتركناه .

الزَّهْرَاء

ومما ذُكرَ من أخبار الزّهراءِ وبانيها

أجمعَ المؤرخونَ من أهل قرطُبَة كالرّازى وابن النظّام وابن حيّان وغيرهم على أن طولَ مدينة الزهراء المحدَثة أسفلَ قرطبة وغَربيها من الشرق إلى الغرب ألفا ذراع وسبعمائة ذراع دون الجنان ، وطولُها بالجنان منجهة الجوْف ثلاثةُ

آلاف ذراع وتسعمائة ذراع وثمانية أذرع ، وعرضُها من الجوف إلى القبلة فى جهة الشرق ألف ذراع وثلاثة وسبعون ذراعاً ، وعرضها من القبلة إلى الجوف فى جهة الغرب ألف ذراع وثلثمائة وثمانون ذراعاً . وهذا الموضع الذَّرْعُ كلّه هنا وفيما تقدّم ذكرُه فى قُرْطُبَة وجامِعها بالذِّراع الرّشاسى [1] وهو ذراعٌ واحد وثُلُث ذراع .

قال مسلمةُ بن عبد الله المهندسُ النّاظرُ فى بنيانها رحمه الله : بدأ (و ١٠) عبدُ الرحمن بن محمد النّاصر لدين الله بنيان المدينة الزّهراء أولَ سنة خمس وعشرين وثلثمائة وتمادى فى بنيانها إلى حين وفاته رحمه الله فى سنة خمسين وثلثمائة .

قال مسلمةُ بن عبد الله المذكور : وكان مبلغُ ما يُنفَقُ فيها فى كلّ يوم من الصخر المنحوت المحكَم المعَدّل لوجه البناء ستةُ آلاف صخرة حاشا (المُرْتيل) [2] . وكان يخدمُ بها فى كل يوم ألفٌ وأربعمائةُ بغل منها أربعمائةُ بغل زوامل السلطان المختصّة به ، وألفٌ من ذوات الأكرياء المعرّضة للخدمة ، أجرةُ كل بغل منها فى الشهر ثلاثةُ دنانير من الذهب الجعفرى يجب لجميعها فى كل شهر ثلاثة آلاف دينار ، وكان عدة حذّاق البُناة بها فى كل يوم ثلثمائة بنّاء ، وعدة حذاق النجارين مائتا نجار ، وعدة الأجراء فى كل يوم خمسمائة أجير تتمة ألف عامل حاشا من كان يخرج فيها من أعلاج النصارى عبيدَه .

وكان يرد فيها فى كل يوم من الجير خمسمائة حِمل ومثلهُ من الجِبس قال : وَجُلِبَ إليها الرّخام من قرطاجنة إفريقيّة ومن تونس وغيرها ، وكانوا الذين يجلبونه وينتخبونه ثلاثة رجال ، وكان يصِلُهم على كل رخامة كبيرة أو صغيرة بعشرةِ دنانير قاسميّة أجرة لهم سوى ما كان يلزمُها من المؤن والتّسفير ؛ وكان يصِلُهم على كلّ سارية بثمانيةِ مثاقيل ذهباً .

وعدّةُ السوارى بها عند انكمال أكثرها فى مدّته أربعةُ آلاف سارية

---

(١) الذراع الرشاشى ينسب الى محمد بن الفرج الرشاشى . انظر

Lévi-Provencal : *La Peninsule Ibérique* p. 266

(٢) لعله لفظ رومانسى تطور من اللفظ اللاتينى mortuoriu الذى ادى الى mortero الأسبانى ومعناه الملاط ؛ أنظر فى تطور اللفظ :

Menéndez Pidal : *Origenes del espanol* p. 2332.

منها ماجُلِب من إفريقيّة وذلك ثلاثة عشر سارية ومنها ماجُلِب من بلاد الإفرنج وذلك تسع عشرة سارية سوى الذى أهدى إليه ملكُ رومة وذلك أربعون سارية لم تُعرَف لها قيمة ، وسائرُها من مقاطع الأندلس المذكورة ؛ وأما الحَوض المذهَّب الكبيرُ المنصوبُ فى بيت المنام فهو من جَلَب اليونانىّ من القُسْطنطينيّة مع ربيع الأسقف من بيت المقدس ، وأما الحوضُ الأخضرُ المشهورُ فهو من جلَب أحمد بن كرم الشامى قالوا بأجمعهم إنه لا قيمةَ له (ظ ١٠) وأما اليتيمةُ المنصوبةُ فى المجلس البديع فهى من تحف ألْيُون صاحب القسطنطينية .

قال ابنُ حيّان : ما زلتُ أسمعُ من الشيوخ المحصّلين أنّ مصانعَ المدينة الزهراء وقصورها اشتملت على خمسة عشر ألف زوج باب ومئين زائدة ، منها المصفّح بالحديد المبيّض بالقزدير ، ومنها المصفّح بالنحاس الأصفر . ومنها الخشبُ المنقوش والمرصّع ، فهى على الجملة من أهولِ ما بناه الإنسانُ وأجله خطراً وأعظمه شأناً .

ذكر بعضُ أهل الخِدمة فى الزّهراء أنه حصّل النفقة فيها كلّ عام ثلثمائة ألف دينار عيوناً ذهباً وأنه حصل جميع الإنفاق فى مدة بنائها فكان مبلغه خمسة عشر بيتَ مال ؛ وذكر بعضُ المحصّلين أن مبلغَ النفقة من الدّراهم القاسميّة بالكيل القرطبى ثمانون مُدْياً وستةُ أقفزة وزائد أكيال ، وهذا المُدى القرطبىّ زنته ثمانيةُ قناطير والستة أقفزة هى نصف مدى ، زنتُه أربعةُ قناطير .

وكان النّاصر لدين الله قد قسّم جبايتَه أثلاثاً : ثلث موقوف على الجند ، وثلث مدّخر فى خزائنه للنوائب ، وثلث للنفقة فى الزهراء .

قال الرّازى وغيره : الدُّور التى احتوت عليها قصورُ الزهراء مائةُ دار وخمسٌ وعشرون داراً ، وأهراء الزيت والسمن والسجن الكبير والرّياضات لم تدخل فى هذه العدة ؛ وأما دور الفتيان الصّقالبة والعبيد وكثير من الجند المرتبين بالزهراء وأهل الخدمة فانها كانت خارجة عن القصر غرباً منها ، وكان فيها مثلُها للوزراء وأشراف الناس وكبار الخدمة شرقاً منها ، والبقاءُ لله وحده لارب غيره ؛ ومسافةُ ما بين قرطبة والمدينة الزّهْراء أربعةُ أميال وخمسةُ أسداس ميل .

وحُكِىَ عن بعض الأمَويين أنه قال لما كَمُل بنيانُ الزهراء وسكنها

عبدُ الرحمن النّاصر أخذه فى بعض لياليه أرَقٌ وغلب عليه قلَقٌ فجعل يطوفُ على مبانيها ويصعد على علاليّها ولا يستقر به مكان إلى أن صار فى أعلى عليّة مشرفةٍ على الجبلِ والبطحاءِ والليلِ فاستلقى على ظهره فى فَرْشها فاذا بهاتفٍ يقول : (و ١١)

ياصاحبَ القصر العظيم الذُّرى	اسْمعْ إلى وَعظى بحَرْفيْن
يوشِكُ أن تُنقَل منــه إلى	أهْويَّة فى ضيقِ شِبْرَين

فاسوى جالساً وقال مجيباً له :

لو دامت الدّنيــا لمن قبلَنا	لدامت الدُّنيــا لاثْنيْن
أعنى سليمانَ وذاك الّذى	سدَّ على يأجُوج بَابيْن

وكان قد اتخذ لسطح العليّة الصغرى التى كانت مائلةً على الصرح الممدود قراميد ذهب وفضة، وأنفق عليها مالاً جزيلا وجعل سقُفَها صفراء فاقعةً إلى البياض، بيضاء ناصعةً تسلبُ الأبصار بمطارح أنوارها المشعْشِعَة وجلس فيها إثر تَمامها لأهل مملكته فقال لقرابتِه ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخراً عليهم بما صنعه من تلك البدائع : هل رأيتُم أو سمعتُم ملكاً قبلى فعل مثل فعلى أو قدر عليه قالوا لا والله يا أمير المؤمنين وإنّك لأوحدُ فى شأنِك كله وما سبقَك فى مبتدعاتك هذه ملِكٌ وما بناه ولا انتهى إلينا خبرُه فأبهجه قولُهم وسرَّه ثناؤُهم، وبينما هو كذلك سادراً ضاحكاً دخل عليه القاضى منذرُ بن سعيدٍ البَلُّوطى واجماً ناكساً رأسَه فلما استقرَّ فى المجلس قال له كالذى قال لوزرائه من ذكْر السقف واقتداره فأقبلت دموعُ القاضى تنحَدرُ على لحيته وقال والله يا أمير المؤمنين ما ظننتُ أن الشيطان أخزاه اللهُ يبلغُ منك هذا المبلغ ولا أن تمكّنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك اللهُ وفضّلك على العالمين حتى أنزلك منازل الكافرين قال فاقشعرّ عبدُ الرحمن من قولِه وقال انظر ما تقول كيف أنزلَنى منازل الكافرين قال نعم أليس الله تعالى يقول : ولَوْلا أن يكون النّاسُ أمة واحدة لجعلْنا لمن يكْفرُ بالرّحمن لبيوتِهم سقُفاً من فضَّة ومعارج عليها يظهَرُون الآية (ظ ١١) قال فوجِم عبدُ الرحمن ونكّس رأسه ملياً ودموعُه على لحيته تجرى خشوعاً لله تعالى

وتذمماً إليه ثم أقبل على منذر وقال جزاك الله خيراً عنى وعن جميع المسلمين وكثّر فى المسلمين أمثالك فالذى قلت والله الحقّ وقام من مجلسه وهو يستغفر الله وأمر بنقض سقف القبّة وأعاد قراميدها تراباً .

وكان عبدُ الرحمن الناصر رحمه الله كلفا بعمارة الأرض وإقامة معالمها وإنباط مياهها واستجلابها من أبعد بقاعها وتخليد الآثار الدالّة على قوة ملكه وعز سلطانه وعلوّ همته فأفضى به الاغراقُ فى ذلك إلى أن ابتنى مدينة الزّهراء واستفرغ وسعه فى إتقان قصورها وزخرفة مصانعها فانهمك فى ذلك حتى عطّل شهود الجمُعة فى بعض الأيام بالمسجد الجامع الذى اتّخذه بها، فأراد القاضى منذر بن سعيد رحمه الله وجهَ الله فى أن يعظَه ويقرّعَه فابتدأ خطبته بعد أن حمد الله وصلّى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: أتبنُونَ بكل ريعٍ آيةً تعبثون وتتّخذون مصانعَ لعلّكم تخلُدون فاتقوا الله وأطيعونِ واتقوا الذى أمدّكم بما تعلمون أمدّكم بأنعامٍ وبنينَ وجنّات وعيونٍ إنّى أخافُ عليكم عذاب يومٍ عظيمٍ . ووصل ذلك بكلامٍ جزلٍ وقولٍ فصلٍ جاش فى نفسه به صدرُه وقذفَ به على لسانه نحرُه وأفضى فى ذلك إلى ذمّ المشيد والاستغراقِ فى زخرفته والإنفاق عليه فجرى فى ذلك طلقاً وتلا فيه قولَ الله تعالى: أفمَن أسّس بنيانَه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أمّن أسّس بنيانَه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به فى نار جهنّم والله لا يهدى القوم الظّالمين إلى آخر الآية التى تليها قوله تعالى: إنّ الله عليمٌ حكيمٌ وأتى بما شاكل المعنى من التخويفِ والدّعاء إلى الله تعالى والزّهد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة ونهى النفس عن اتّباع الهوى وتلا من القرآنِ ما يوافقُه ومن الحديثِ والأثرِ ما يشاكلُه حتى بكى الناسُ (و١٢) وخشعوا وتضرّعوا وضجّوا وأخذ أميرُهم الناصرُ لدين الله أوفَى حظ من ذلك وعلم أنه المقصودُ به والمعتمَد بسببه فاستخذى وبكى وندِم على ما سلَف له وفرط منه واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم إلا أنه وجد على منذر بن سعيد لغلَظ ما قرّعه به فشكا بذلك إلى ابنه الحكَم بعد انصرافه وقال والله لقد تعمّدنى منذر بخطبته وأسرف فى ترويعى وأفرط فى تقريعى ولم يحسن السياسة فى وعظى وأقسم أن لا يصلّى خلفَه الجمعة خاصة فقال له الحكم وما الذى يمنعك عن عزل منذر والاستبدالِ به ، فزجره وانتهره وقال له أمثل

منذر بن سعيد فى فضله وورعه وعلمه وحلمه – لا أمَّ لك – يُعزل فى إرضاءِ نفسٍ ناكبةٍ عن الرُّشْد سالكة غير القَصْد ؟ هذا ما لا يكون .

ومن مشهور ما جرى له مع الناصر لدين الله أيضاً هو أن أمير المؤمنين عبدَ الرحمن احتاجَ إلى شراء أرضٍ بقُرْطبة لحَظِيّة من نسائه تكرمُ عليه فوقع استحسانُه على دارٍ كانت لزكرياً أخى نَجْدَة فى الرَّبض الشرقى متصل بها حمّام مبرَز للعامّة له غلّة واسعة وكانوا أولاد زكرياً أخى نجدة أيتاماً فى ولاية القاضى منذر فأرسل عبدُ الرحمن الناصر من قوّمها له بعدد ما طابت نفسُه عليه وأمره بمُداخلَه وصىّ القاضى على الأيتام يبيعُها عليهم فذكر أنّه لا يجوز ذلك إلا بأمر القاضى وعن مشورتِه فأوصى عبدَ الرحمن الناصر إلى القاضى فى بيع هذه الدار فقال لرسوله : البيعُ على الأيتام لا يكون إلا لوجوه : منها الحاجةُ ومنها الوَهَن الشديد ومنها الغِبطة فأما الحاجة فلا حاجةَ بهؤلاء الأيتام إلى البيع ، وأما الوهَن فليس فيها ، وأما الغبطة فهذا مكانها ؛ فان أعطاهم أميرُ المؤمنين منها ما تستبينُ (به)[1] الغِبطةُ أمرْتُ وصيَّهم بالبيع وإلا فلا فثقُل جوابُه على عبد الرحمن وأظهرَ الزُّهــد فى شراء الدّار طمعاً أن يتوخّى رغبته فيها وخاف القاضى أن تنبعثَ منه عزيمةٌ (ظ ١٢) تلحق الأيتامَ سورتُها فأمر وصىَّ الأيتام بنقض الدّار وبيع أنقاضها ففعل ذلك وباع الأنقاضَ بأكثرَ مما قُوِّمت لعبد الرحمن الناصر فاتصل الخبرُ به فأسف على خرابها وأمر بتوقيف الوصىّ على ما أحدثه فيها فأحال على أن القاضى أمرَه بذلك فأرسل إلى القاضى منذر بن سعيد وقال له : أنت أمرْتَ بنقض الدار ، فقال : نعم ، قال : وما دعاك إلى ذلك ؟ قال أخذتُ فيها بقول الله تعالى : أمّا السّفينة فكانت لمساكينَ يعملون فى البحر فأردت أن أعيبَها الآية . مقدّورك لم يقدروها إلا بكذا فتعلّق به وهمُك وقد تحصّل فى أنقاضها أكثرُ من ذلك وبقيت القاعةُ والحمّامُ فضلاً . فصبر عبدُ الرّحمن على ذلك وقال نحن أولى من انقاد إلى الحقّ فجزاك اللهُ عناوعن أمانتك خيراً .

وقَحط النّاس فى بعض السنين فأمر القاضى منذرُ بن ســعيدٍ بالبروز للاستسقاء ، فتأهّب لذلك بخشوع وإنابة واجتمع الناس إليه فى مُصلّى الرَّبض

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

بارزين إلى الله تعالى فى جمع عظيم وصَعد الناصر لدين الله فى مصانع القصر المشرفة فشارك النَّاس فى الدعاء إلى الله والضراعة إليه فلما سرّح منذرٌ طَرْفَه فى ملأ الناس، وقد شخَصُوا إليه بأبصارهم ، هتف بهم ، وكرّرها فى نواجيهم ثم قال: سلامٌ عليكم كتب ربُّكم على نفسه الرحمة أنه من عَمِل منكم سوءاً بجَهالة ثمّ تاب من بعده وأصلَح فانه غفور رحيم . أنتم الفقراء إلى الله تعالى والله هو الغنىُّ الحميد . ان يشأ يذهبْكم ويأت بخلْقٍ جديدٍ وما ذلك على الله بعزيز . فضجُّوا ورفعوا أصواتَهم بالاستغفار والتَّضرع إلى الله بالسُّؤال فما أتمّ خطبته حتى بلَّهم الغيث .

وذُكر أنّ رسول الناصر لدين الله لمَّا جاءه غداة ذلك اليوم يُحرّكه للخروج قال : يا ليت شعرى ما الذى يصنَعه أميرُ المؤمنين فقال: ما رأيناه قطّ أخشع منه فى يومنا هذا ، وانه لمنْتَبِذٌ بآخر زوايا القصر، مُنْفَرِدٌ (و١٣) بنفسه، لابسٌ أخشن الثياب، مفترِشٌ التُّرب قد رمى به على رأسه ولحيته وبكى واعترف بذنوبه يقول هذه ناصيتى بيدك اتراك تعذب الرعيَّة من أجلى وأنت أحكمُ الحاكمين، لن يفوتَك شيءٌ منّى فتهلّل وجهُ منذر عند ذلك وقال اخرجوا بنا ، إذا خشع جبَّار الأرض رحم جبَّارُ السماء .

وسبب تعلقه بالنَّاصر لدين الله (أنه) (١) لما احتفل الناصرُ لدخول ملك الرُّوم صاحب القُسْطنطينيَّة لقصر قُرْطُبَة الاحتفال الذى اشتهر ذكرُه أحبّ أن يقوم الخطباءُ والشعراءُ بين يديه فتقدّم إسماعيلُ بن القاسم البغدادىّ (٢) أميرُ الكلام وبحرُ اللغة فقام على المنبَر وحمد الله وصلَّى (على نبيه) (٣) ثم انقطع وبُهِت فلمَّا رأى ذلك المنذرُ بنُ سعيدٍ قام قائماً بدرجة ووصل افتتاحه بكلامٍ عجب بهَر العقول جزالة وملأ الأسماع جلالة وقال : أما بعد فانّ لكل حادثةٍ مقاماً ولكلّ مقامٍ مقالاً ، وليس بعد الحق إلا الضّلال ، وإنى قد قمت فى مقامٍ كريمٍ بين يَدَىْ ملكٍ عظيمٍ فاصغُوا إلىّ بأسماعِكم وأيقنوا عنى بأفئدتكم معاشر الملأ ،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) هو أبو على القالى .

(٣) ساقطة من الأصل .

إنّ من الحق أن يقالَ للمحق صدقتَ وللمبطل كذبتَ وإن الجليل تعالى فى سمائه وتقدّس بصفاته أمر كليمـَه موسى صلّى الله عليه وسلم أن يذكـِّرَ قومـَه بنعم الله عليهم وأنا أذكركم نعمَ الله عليكم وتلافيـَه لكم بخلافةِ أمير المؤمنين التى آمنَتْ سرْبكم ورفعت خوفكم وكنتُم قليـلاً فكثـَّركم ومستضعفين فقوّاكم ومستذلـِّين فنصركم إلى أن قال : فقد فتح اللهُ عليكم أبواب البركات وتواترتْ عليكم أسباب الفتوحات وصارتْ وفودُ الرّوم وافدةً عليكم يأتون من كلِّ فج عميق وبلدٍ سحيق (   )[1] بينكم وبينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا ولن يخلف اللهُ وعده إلى أن قال :

مقالٌ كحـدِّ السيف وسْط المحافِلِ   أقمتُ به ما بين حقٍ وبـاطِلِ (ظ ١٣)

القصيدة إلى آخرها فقطـِّب العلجُ وصلـِّب على وجهه وقال : هذا كبشُ الملكْ ، وقد خرج بنا الكلام عن قرطبة ، رجَعْنا إليها .

قال المؤرِّخ : ولقـُرْطُبـَة من الأقاليم عِدةٌ فى مسافة سبعين ميلاً فى الطول ، وكانتْ جبايةُ هذه الأقاليم فى أيام الحَكـَم بن هشام فى كلِّ عام على أتمِّ العدل وأوفاه من الذّهب مائة ألف دينارٍ وعشرةُ آلاف دينار وعشرين دينارا ، ومن الشعير سبعة آلاف مدى وستمائة مدى وستة وأربعون مُدْياً ، ومن القمح أربعة آلاف مدى وستمائة مدى والمدى من ثمانية قناطير وهو المدى القرطبي .

وبالفتنة الكائنة على رأس الأربعمائة سنة من الهجرة مُحيـَتْ رسوم تلك القرى وغيـِّرت آثار (ذلك)[2] العمران فصار أكثرُها خلاءً تندب ساكنيها وقد قال بعضُ شعرائها فيها :

بَكِّ على قُرْطُبَة الزَّيْنِ   فَقَدْ دهتْها نَظْرةُ العَيْنِ

القصيدة إلى آخرها يصف فيها تغيُّرها .

والأندلسُ قطعة من القطع الثّلاث بالمغرب الأقصى من مملكة الإسلام التى هى الأندلسُ والمغربُ وإفريقيـَّة ؛ فحدّ الغرب عند أهل الشرق من مصر

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) زيادة اقتضاها السياق .

إلى آخر المعمور على البحر المحيط ، وحد المغرب عند أهل مصر من إفريقيّة إلى البحر المحيط الذى لاعمارة وراءه وقد تقدّم هذا أول التعليق . وأما حدّ إفريقيّة فمن بَرْقة إلى مِلْيانة على وادى شِلْف ، وحد المغرب من مِلْيانة إلى آخر جبال السُّوس الأقصى التى وراءها البحرُ المحيط ، ومسافة ذلك من نحو خمسين يوماً ومن مِحلاّت العساكر أكثرُ . وبين هاتين القطعتين المتّصلتين فى برٍ واحدٍ وهى جزيرةُ الأندلس البحرُ الشامى .

والأندلسُ أعظمُ هذه القطع شأناً وأرفعُها قدراً وأشهرُها ذكراً وأشمخُها ملكاً وأعزُّها سلطاناً وأكثرها مدائن وأمنعها معاقِل وأنفعُها سواحل وأغزرها وأعمُّها فواكه وأوسعُها معايش وأرفقُها بأهلها عند الشّدائد .

وقصبَاتُ الأندلس (و ١٤) طليطُلَة وسَرَقُسْطَة ومارِدة وإشْبِيلِيَة ، وحاضرتُهاوكرسىُّ مملكتِهاقُرْطُبَةومعناهابالعربية القلوب المشكّكة، وطُلَيْطُلَة معناها أنت فارح، وتأويلُ إشْبِيلِيَة أنها مبنية علىسَبَخة، ومارِدة (العرفاء القدم) (١)، وقَرْمُونَة يا صديق أنْذر إلى غير ذلك، وأما باجَه فتأويلُها فى لغة النّصارى السّلم .

ذكرُ الجبال وهى أربعة ، وبالأندلس من الجبال المتناهية فى الطّول والعرض والأخذ من البحر إلى البحر : جبلُ قُرْطُبَة ومبتدأ أوله من البحر المتوسِّط الغربىّ؛ والجبلُ الثّانى المنتهِى إليه الحاجزُ بين الأندلس وبلد إفرنجة، ومبدؤه من البحر القبلى ومنتَهاه البحرُ الغربىّ وهو المحيط ، المسمّى البرنيوُه ؛ والحاجزُ بين الكُور المجاورة لقُرْطُبَة وبين الثغر وجلّيقية مبدؤه من البحر القبلى المتوسط المجاور لطُرْطُوشَة ومُنْتَهاه البحرُ الغربىّ ؛ والجبلُ الرابع جبلُ الثّلج الذى مبتدؤه من حيِّز إلْبِيرة ويتصل بجبال ريُّه ويلتصق بالجزيرة الخضراء .

وبالأندلس من الأنهـار العظيمة المنصبّة فى البحر : نهرُ قرطبة وهو المعروفُ بنهرُ بِيطى وموقعُه فى البحر المحيط وعدة أمياله ثلثمائة ميل وعشرة أميال، ويدخله أنهارٌ تقع فيه منها نهر بُلّون ؛ ونهر أطْريه(٢) الحَوْ فى وله

(١) كذا فى الأصل .

(٢) هو Utrero

من الخاصّية أن حوتَهُ أطيبُ حوت يؤكل بالأندلس، ويدخل فيه أنهار عدّة؛ نهر آنَه وهو الثّانى مخرجه بشرقىّ الأندلس ومنصبّه فى البحر المحيط وعدة أمياله ثلثمائة ميل؛ نهر تاجُه وهو الثالث ومخرجه من جبال شرقىّ الأندلس ومصبّه فى البحر المحيط الغربى وعدة أمياله سبعمائة وعشرة أميال؛ نهر دُويْرُه وهو الرابع مخرجه من جبل فوق ناجرة ومنصبّه فى البحر المحيط بجلّيقية، وعدة أمياله خمسمائة ميل وثمانون ميلاً؛ نهر إبْرُه (ظ ١٤) وهو الخامس مخرجه من عين فوق القلاع ومجراه من الجوْف إلى القبلة ومنصبُّه فى البحر الثانى بناحية طُرْطُوشَة وعدة أمياله أربعمائةُ ميل ونيّف؛ نهر بَسْبلُونة وهو السّادس مخرجه من جبال ألبَه ومنصبّه فى البحر المحيط بجلّيقية وعدة أمياله ثلثمائة ميل.

وأما مقاطعُ الرّخام فمن عشرة مقاطع؛ وأما المعادن والأشجارُ والأحجار فمن ذلك يوجدُ فى ناحية دِلاية العودُ وهو عودُ (التجوج)(١)، لا يفوقُه العودُ المندىّ ذكاءً وعطر رائحة. وفى بحر أشْبُونة يوجد العنبرُ الكثير الطيب ويوجد فى أكثر سواحل الغرب. وفى جبل الشَّلُون يوجد المحْلب الذى لا يعدله شىءٌ وهو المقدّمُ فى الأفاويه لاينبتُ إلابالأندلس والهند قال المسعودى: وبنواحى المُنْتِلُون يوجد البرباريس(٢) العجيب؛ وفى جبل الثلج يوجدُ السّنبلُ الفائق، وبجبل أنْده يوجد القسط الطيّب المُرُّ المذاق؛ ويوجد بجبال قلعة أيوب المُرُّ الطيّب؛ وأطيبُ كهربا(٣) الأرض بشذُونه؛ وأطيب القرْمز قرمزُ الأندلس وهو فى بلادٍ كثيرة بالأندلس ويحمّلُ إلى الافاق؛ وبناحية يُورقة من كورة تُدْمير يكونُ حجر اللازوَرْد الجيّد؛ وعلى مقربة من يورقة معدن البلّوْر؛ وحجر البِنجادى بناحية الأشْبُونة فى جبل هناك يتلألأ فيه ليلاً كالسّراج؛ والياقوتُ الأحمرُ يوجد فى ناحية حصن مُنْت ميُورمن كورة مالقة إلا أنّه دقيقٌ

---

(١) كذا فى الأصل

(٢) ترجمه دوزى (Epine-V inttes) Dozy: *Supp. aux Dict arabes* t.1, p.64
ولعله التين الشوكى .Figue de Barbarie

(٣) ويقال الكهربا مقصوراً لهذا الأصفر المعروف ذكره ابن الكتبى والحكيم داود وله منافع وخواص وأصلها كاهوربا أى جاذب التبن أو خاطف التبن: تاج العروس مادة كهربا.

جداً ، وقد يوجد فى ناحية مدينة بجّانه أشكالاً مختلفة كأنّه مصنوع ؛ حسن اللون صبُورٌ على النّار ؛ وحجر المغناطيس الحاذب للحديد يوجدُ بموضعٍ يعرف بالصّهاجين من كُورة تُدْمير ؛ قال المسعودى : أصولُ الطّيب خمسةُ أصنافٍ : المسكُ والكافورُ والعودُ والعنبرُ والزّعفرانُ كلّها من أرض الهند إلا الزّعفران والعنبر فإنه يوجدّ بأرض الزّنْج والشّحْر والأنْدُلس (و ١٥) .

جملةُ مُلْك بنى أميّة بالأندلس: أول مُلْكهم سنة أربعين ومائة ، ومبلغُ دولهم بقصر قُرْطُبة إلى صدر سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة مائتا سنة وخمسةُ أشهر وعشرون يوماً ؛ ملك عبدُ الرّحمن بنُ معاوية ثلاثاً وثلاثين سنةً وأربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ؛ ملك هشامٌ ابنُه سبع سنين وتسعة أشهر وثمانيةَ عشر يوماً ؛ ملك ابنه الحكم ستا وعشرين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ؛ ملك عبدُ الرحمن ابنُه إحدى وثلاثين سنةً وثلاثة أشهر وستة أيام ؛ ملك محمّدٌ ابنُه أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ؛ ملك ابنُه المُنْذرُ سنةً وأحد عشر شهراً[1] ؛ ملك ابنُ ابنهِ عبدُ الرّحمن بن محمّد بن عبد الله خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام ؛ ملك الحكمُ ابنُه خمسة عشر سنةً وخمسة أشهر ويوماً واحداً ؛ ملك هشامٌ ابنُه بالدّولة الأولى ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام ؛ ثوْرةُ المهدىّ محمدِ بن هشام بن عبدالجبّار ودولته الأولى نحو تسعة أشهر ؛ ثورةُ المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان ودولته الأولى نحو سبعة أشهر ؛ دولة المهدىّ الثانية شهرين ؛ دولة المؤيد الثانية بقرطبة سنتان وتسعة أشهر وسبعة وعشرون يوماً ؛ دولة المستعين الثانية بقرطبة سوى أيامه الأولى فى الفحْص ثلاث سنين وثلاثة أشهر ؛ دولة المُسْتظْهِر عبدِ الرّحمن بن هشام بن عبد الجبار شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً ؛ دولة المستكْفى محمّد بن عبد الرحمن سنة وأربعة أشهر واثنان وعشرون يوماً ؛ دولة المعتد بالله هشام بن محمد بقرطبة سوى أيامه فى الثغر سنتان وأربعة أيام ؛ قال أحمــدُ بن أبى الفيّاض[2] : للمهدىّ دولةٌ

---

(١) سقط من الأصل ذكر ولاية الأمير عبد الله جد عبد الرحمن الناصر .

(٢) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض أو ابن الفياض توفى سنة ٤٥٩ له كتاب العبر . أنظر ابن بشكوال : الصلة ١٢٤ ، وبونس بريجس ١٣٨ .

بطليْطُلة بين دولتيه بقُرْطُبة وللمؤيَّد دولة بإشْبيلية وخول بين الدول ، وللمعتـــدّ دولةٌ فى الثغر سوى دولته بقُرْطُبـــة . انتهتْ دولةُ الأمويّين الأندلس .

جملة دولة الفاطميّين (١) بالأندلس قُرْطُبة وغيرهـــا إلى سنة ثلاثين وأربعمائه : ثلاث وعشرون سنة دولتهم منهـــا بقرطبة خاصّة التى هى دارُ مُلْكهم ؛ بغيرهـــا من ديارِ الأندلس نحو سبع سنين وسبعـــة أشهر وثمانية

---

(١) هم الحموديون .